

روايات مصرية للجيب

أسطورة

المينوتور

ماوراء الطبيعة

22

www.liilas.com/vb3
^ RAYAHEEN ^

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من لثرت القمصان والرعب والإثارة

روايات
مصرية للحب

٤١٩

أسطورة المينوتور

إنه هو ... لا بد أنه هو ..
عندما تسمعون هذا الخوار ،
تشعرون أنه هو .. عندما تسمعون
هذه الخطوات ؛ تفكرون أنه هو ..
عندما ترون هذه العظام المبعثرة ،
تدركون أنه هو ... إنه في مكان ما
ينتظرنا .. يشم رائحتنا ..
وحيثما وجدنا .. سنوقن
جميعاً أنه هو



د. أحمد خالد توفيق

www.ljilas.com/vb3

^ RAYAHEEN ^

مقدمة

أنا د . (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم
المتقاعد .. ومريض القلب الدائم .. والعزب الأبدى ..
أنا الذي واجه (العنّاس) .. وواجه لعنة (شاكال)
النارية .. وضاع في عوالم (آلان بو) .. وغاص في
قلب الحقيقة إلى الحد الذي تسمح به آدميته ..
أنا الشيخ الفاتى الذى تشبه حياته ورقة فى شجرة
صفصاف إبان الخريف ..

الكل ينتظرها كي تسقط ..

الكل يعرف يقينا أنها ستسقط ..

ناموس الحياة يقول إنها ستسقط ..

لكنها لم تسقط بعد ..!

تسألوننى عن سبب بقائى فوق الشجرة حتى هذه
اللحظة .. أية فيتامينات أبتلعها ؟ .. أية أطعمة أمتنع
عنها ؟ .. أية رياضات أمارسها ؟

أقول لكم إننى أفعل كل ما من شأنه أن يقضى على
حياة سلحفاة عمرها عامان .. والتفسير الوحيد عندى
هو أن أجلى لم يحن بعد ..

١ - الأسطورة ..

مينوتور : (مينوس + توروس) في الإغريقية .
وحش يبدو نصفه كإنسان ونصفه الآخر كثور . يعيش
في العمارة التي بنها (ديدالوس) له (مينوس) . كانوا
يقدمون له قربانا سنويا من سبعة فتيات وسبع عذارى ،
إلى أن قتلته (ثيديوس) .

[قاموس (ويستر) الشامل]

* * *

مرة أخرى نعود إلى عالم الأساطير الإغريقية نعتقد
العثباتك ، الرابع برغم ذلك .. والذي كون جزءا هاما
من تكوين عقولنا ، لا ندرك أهميته إلا حين نتحدث عن
بطولات (هرقل) .. أو نستعمل (أطلس) البندان ..
أو نصف فتاة حسناء في قصائدنا بأنها (فينوس) ..
وحسب أول مركبة فضاء لمست القمر كان اسمها
(أبولو) ..

في هذه المرة سنقصد جزيرة (كريت) لنلقى الفنان
البارع والمهندس الإغريقي الموهوب (ديدالوس) ..

أجلت لم يحن بعد ..

لهذا دعركم الليلة - من يدري ؟ لربما كانت
الأخيرة - إلى أن تصفوا لقصة أخرى ..
يسود أن الوقت قد حان في أحلى نكس قصة
(المينوتور) ..

اليوم نعود من جديد إلى عوالم (الميثولوجيا)
الإغريقية . ومثابرة - كما حدث مع راس (ميدوسا) -
لأن يكون النقاء مبهجا على الأضلاع ..
سموه الرعب .. سموها لكافة ..

لهمم أنكم هنا .. وأنكم تتطلعون في شطف إلى لقاء
(المينوتور) .. لهذا دعونا لا نضع وقتا في ترسرة
الشيوخ هذه ..
ولتبدأ ..

* * *



المهم أنه كان مزعجاً ومرعباً .. وكان يقتل كل
من يدنو منه ..

تذكر الأساطير الإغريقية - (ديدالوس) أنه هو أول
من حاول لطيران في التاريخ . مستعملاً جناحين من
شمع .. وللأسف جرب هذا مع ابنه (إيكاروس) .. ولك
كتاب العماس هذا الأخير حتى أنه بنا من الشمع أكثر
من اللازم .. وذاب جناحاه ليهوى غارقاً في المحيط ..
كما يذكر - (ديدالوس) أنه هو من بنى (اللابيرنت)
أو (المتاهة) في (كريت) .. وهو لحن تسعيد الذي
وجده الرجل للتخلص من كارثة بيولوجية حطت على
هذه الجزيرة ..

لقد كان لدى (مينوس) ملك (كريت) وحش من
هذه الوحوش الشنيعة التي تزخر بها الأساطير
الإغريقية .. ولم يكن بالتأكيد أسوأ من (مينوسا)
- التي تحدثنا عنها في الكتاب السادس - لكنه كان سيئاً
يما يكفى ..

كان هذا الوحش مزيجاً من الإنسان والثور .. وثمة
روايات تقول : إن الثور كان هو النصف العلوي ، وأخرى
تقول : إن الثور كان هو النصف السفلي .. لا يهم ..
المهم أنه كان مزعجاً ومرعباً .. وكان يقتل كل من
يدنو منه .. وبالتأكيد لم يكن صالحاً لتربيته فقط سيئاً

أو كتب (نولو) .. تكن (مينوس) الأحمق ظن أنه من
المفيد أن يحتفظ المرء بـ (مينوتور) في داره .. ودفع
ثمن هذه الحماقة غالياً ..

فلما استطار شر الوحش ، استجد الملك بالمهندس
الإغريقي العبقري (ديدالوس) ..

ولابد أن المهندس فكر كثيراً في حل المعضلة ..
ولابد أنه أجرى حسابات مستفيضة على آتله الحاسبة
الإغريقية - كل شيء جاز في الأساطير - ثم دس للقلم
وراء آتله .. وقال :

- سنبنى (اللابيرنت) ؟

هنا لابد أن الملك سأل في غباء :

- (اللابيرنت) ؟

- نعم .. (اللابيرنت) في الإغريقية معناه : التيه ..

مشحيط هذا الوحش بممرات معقدة . ومنحنيات . وشعب
متداخلة .. وسوف يركض هذا الوحش بين الممرات
إلى يوم يبعثون .. عاجزاً عن الخروج ..
وقد كان ..

وصار هذا (اللابيرنت) المعقد جزءاً من معالم
(كريت) .. بز و صار جزءاً هاماً من ألعاب (الكمبيوتر)

التي تدور كلها حول محاولة الخروج من متاهة ، في
حين تطاردك بالداخل أشياء مبهمة لا تدرى ثمنها ..
لكنها تلتهم ما تراه ..

* * *

لكن لقصة ثم ثنته بعد ..

إن الجزء السين منها لم يبدأ حتى هذه اللحظة ..
كان الإغريق يحقدون ويحسدون ، مثلما يفعل تحن
ضينة يومنا .. ولقد بدأت المأساة بغورين (مينوس)
ملك (كريت) بالألعاب الأولمبية في (أثينا) ..

وإن نوى الغنى أن يعود إلى بلاده محملاً بالجوائز
استشاط ابن ملك (أثينا) غضباً .. وأكث التحف عليه ..
لذا أرسل قطاع الطرق ليهاجموا ابن ملك (كريت) ..
ويعزفوه إرباً .. وينقلوا بجسده للسباع ..

الحق أنها كانت حياة بتيلة حقاً ..

أما الأدهى فهو أنها وصلت بالكامل إلى ابن (مينوس) ..
فجن جنونه .. وجرود جيشاً مهولاً زحف به على
(أثينا) ..

وما جاء الصباح إلا والنضاح تعوج يقتلى الإغريق ..
وبدأ حصار (مينوس) لتطويل لمدينة (أثينا) ليرغم

أهلها على الاستسلام . وكان الحصار مرهقاً ، شح فيه
الماء والرزق ..

وأرسل (إيجوس) إلى (ميلوس) يعرض عليه
التصلح ..

لكن الأب المشنوم في ابنه رفض التصلح .. وقال إن
كل (أثينا) لا تكفيه عوضاً عن ابنه ..

لكنه - لما كان رجلاً سهول الإرضاء - يكفيه أن يعود
بسبعة من أجمل وأقوى الفتيان .. وسبع من أجمل
العذارى .. وسوف يأخذهم معه إلى (كريت) ليرمى
بهم إلى (المينوتور) ..

ولم يجد منك (أثينا) ثلثس سوى أن يوافق على هذا
العرض ، الذي سيكرر كل عام .. وإلا فهي الحرب ..
وعاد الكريتيون إلى جزيرتهم حامنين إلى وحشهم
صيداً ثميناً .. يكفيه لمدة عام ..

★ ★ ★

ومرت تسعون .. وأهل (أثينا) يدفعون الغدية عن
يد وهم صاغرون .. حتى ظهر (ثينوس) ..

و (ثينوس) - بالمناسبة - هو ابن الملك (إيجوس)
من عراء ريفية حسانا قبلها في إحدى رحلات الصيد ..

والأخ (ثينوس إيجوس) - كما لنا أن نتوقع - هو
بطل إغريقي متحمس من أولئك الذين يفتشون عن
المتاعب بالمعجر ..

وهذه الشخصية ذات البعد لوحيد تتكرر بإفراط في
الأساطير الإغريقية .. البطل مفتول العضلات عاري
الصدر .. بسيفه البترز و غضبه الجبار .. وبحسه الدائم
من أجل أن يثبت عرش معلقة ما .. ودأماً هو يتحرك
طبقاً لتبوءة .. كلهم كذلك .. من (أوديب) إلى
(أخيل) .. ومن (هرقل) إلى (برسيوس) ..

وهكذا .. تقول الأسطورة إن (ثينوس) فتح على
أبيه في أن يرمنه إلى (كريت) هذا العام ليكون ضمن
البؤساء الذين سوف يلتهمهم (المينوتور) ..

يجب أن يعلم أهل (أثينا) لنا تجرع ذات لكأس
لتي منها يجرعون ..

بهذا الحس الديموقراطي ركب (ثينوس) السفينة
مع رفاقه ، ماخرين بحراً [تلاطمت أمواجه ، وزحرت
لثاجه ، وظم آتبه] على حد قول الأستاذ (بريس
خشبة) أون من ترجم هذه الأسطورة إلى العربية ..

ولقد وصلت السفينة إلى (كنسوس) عاصمة (كريت) ،
ونزل منها أولئك الضحايا القادمون ..

لكن بقية (مينوس) أعجبت كثيرا - (ثيديوس)
لوسيم القوي .. نسية - لا متناهي - له أخو قاتل
أخيها ..

وكان أن قررت إلقاءه .. فقدمت له خيطا قالت له أن
يربطه عند بداية (اللابيرنت) .. ثم يدخل لثنيه ليلا
بينما (المينوتور) نائم .. فبهت عنه وبقتله بسيفه
البتر ..

بعد هذا يستطيع العودة لأرضه مسترشدا بطرف
الخيط الذي يحميه .. هذا لن يضل طريقه ويموت .
ثمما يحدث لمن لم يسعدهم الحظ أن يقتلهم (المينوتور) ..
وقد كان ..

نجح (ثيديوس) في قتل الوحش .. وعاد ليتزوج
القضاء .. وليكون صلح بين (أثينا) و (كريت) ..
وتعم السعادة البلاد ..

وهنا تنسى الأساطير الإغريقية كل شيء عن
(ثيديوس) ..

ونسى نحن كل شيء عن (المينوتور) إلا في خيال
المعراء وعند علماء النفس .. حيث (المينوتور) رمز

لامتراج لهيمنية والذين في نفس الإنسان .. وليس
الإنسان بشرا كله ولا ثورا كله بل (بين بين) ..
الآن .. نحن نعرف كل شيء عن الأسطورة ..
يمكننا أن نترك شاعر اليونان لثريز (ميوسيروس)
يخزف على فخاره .. ونترك المنية .. ونترك (أخيل) ..
ونعود إلى عالم الواقع ..
إلى (كريت) عام 1969 ..

* * *

٢ - ما كان .. وما سيكون ..

أرقد هذه الأيام مسترخياً - للمرة الأولى منذ عشر سنوات - تأمل الخيوط المعقدة التي نسجها عنكبوت الأيام ، صانعاً منها نسيج ذكرياتي ..

من العجيب أن خطبات عديدة وصلتني في الأونة الأخيرة ، كلها من أشخاص سمعوا عنى .. ويحسب كل منهم أنه يرى شيئاً .. أو أن جارة مصاص دماء .. أو أن عمه مذعوب ..

هناك فتيات يقمن أن غسله الثياب تعفن وحدها في منتصف الليل .. وعجوز يؤكد أن الثلجة تمشي في فصالة عند الفجر .. وشباب واثق أن خاتمه لها جناحاً وطواط ..

برغم كل هذا الهراء شعرت برضاً بالغ ..

فأنا - كما تلاحظون - قد بدأت أتخذ بالتدريج شكل (وكالة أشباح) يلجأ إليها الناس حين يشعرون بأن شيئاً ما على غير ما يُرام ..

لقد نشرت عدة مقالات عنى .. والتقت بي مئبعة شعراء تلوك لثبان عنى شلثة لتلفزيون ..

وتدريجياً بدأ الناس يسمعون عن (رفعت إسماعيل) .. بعدما كان نسياً منسياً لا يعرفه سوى أصدقائه .. ومن قرعوا تلك العقلة عن (الترومبي) في المجلة الإنجليزية إياها ..

قد يقول بعضهم إننى لا أملك الخبرة الكافية بعد .. لكنى أقول إن هذا صحيح في فقرة ما .. وفي تلك الوقت كنت لردد يوماً عبارة (امت صانع أساطير .. ربما أنا هادم لها) .. وكانت خبرتى محدودة نوعاً .. أما اليوم - حين تأمل حياتى - أجد أننى قد عشت خبرات فكما تتاح إلا للأشباح .. ولم يعشها بشرى قبلى في حد علمى .. وهذا يتوح لى حرية الترشرة كما نشاء .. أنا نست من فطرنا الذى يتكلم فى أمور لا يفقه فيها شيئاً ..

* * *

والآن .. دعنا تأمل خبرتى حتى عام ١٩٦٩ ..
١ - علم مصاصى لثماء يتوايبتهم وأوتادهم وثومهم ؛ كانت لى معهم مغامرستان زائفان فى الواقع .. مرة

مع أسطورة مصاص الدماء .. ومرة مع إحدى قصص
(قناروت) .. وتعلمت من ذلك أنه لا وجود لشيء
كهذا ..

٢ - عالم مسوخ للساب والقمر لتكتمل ولتجانس
الفئة :

لم يثبت شيء وجودهم قط بعد قصتي مع أسطورة
المذعوب .. تكفى عرفت عنهم الكثير .. وعرفت أصل
هذه الأسطورة .

٣ - عالم الوحوش التي لم يرها أحد :

واجهت وحش (شوخ نس) .. وعرفت من واجه
رجل لتكوج .. وهذا كيف لاكون ذا خبرة بالأمر ..

٤ - عالم الموتى الأحياء والقبور المفتوحة والأطراف
المناكدة :

كان لي لقاء مع (زومبي) مزيفين .. وأعتقد أنني
أعرف قدرًا لا بأس به من الموضوع ..

٥ - عالم الأساطير اليونانية والحقائر :

مع ريس (ميتروسا) العاتية والجهت كابوسًا حقيقيًا ..
وبرغم أن المسئلة تكشفت عن خدعة .. فإني على
استعداد تام لمواجهة الأسطورة القادمة ..

٦ - عالم لغة الفراشة وموميوات والتحفيرات على
الثوابت :

خبرتي مع مومياء الفرعون (أطيرو) وحارسه
الذي يفتك بلحماء ..

٧ - عالم تبيئات المقترسة وخلافه .

٨ - لتجدت لتينا فيزيقية انتر تجهل الكثير عنها :
لغتي مع شعب الأضياف . وحسناء المتغيرة . وأرض
أخرى .

٩ - غزاة لقضاء والأطباق الطائرة والتشيب :

لي مغامرة لم تكتمل معهم . نموذج للكبوس المنجس
على أسطورة الغرياء .

١٠ - القدرات البشرية غير العادية :

أسطورة الكاهن الأخير .. عن محارب (التافراي)
الذي جاء من عالمه ليزيد الحياة تعقيدًا ..

وهكذا أستطيع القول إنه ما من مجال من مجالات
تدني ما وراء الطبيعة إلا وخبرته لي حد ما ..

١١ - التنبؤات الشرييرة وأورق (القاروت) :

يمكن القول أنني اصطدمت بها في (جامايكا) وفي
(نيويورك) .. مرة مع الأم (مارشا) ومرة مع
٢ - (لوسيفر) .

إن خبرتي به متكررة .. مرة مع سحرة (اللودو)
 ونمى (الفلتش) .. ومرة مع (لعة القراصة) .. ومرة
 مع (شاكل) .. ومرة مع (نوسفيراو) .. أه .. يبدو
 لنى لم أحك هذه القصة بعد ..

١٣ - تبيوت المسكونة والنبوات الصدنة والعنكب :
 إن أسطورة البيت هي نموذج جيد لبيت ليس مسكوناً
 فصبب .. بل هو نفسه يملك طاقة روحية عالية ..
 والآن يمكننى - بكل تواضع - أن أزعج أتنى قاهر عنى
 الإلهاء برأى فى أى موضوع يعرض عنى من مواضيع
 ما وراء الطبيعة ..
 ربما جاء رأى خاطئاً .. لكنه - بالتأكيد - يستحق
 الاهتمام ..

* * *

معظم ما يصلنى من مراسلات يصلنى على عنوان
 العمل ، لأن أهدأ لا يعرف عنوان منزلى .. لكن الصحف
 حين تتحدث عنى تقول : (رفعت إسماعيل) .. أستاذ
 بكلمة طب كذا ..

ولقد وصلنى فيض من خطابات حتى أن د . (رافت)
 صديقى العنيد قال لى متهمكاً :

- إن من بر كم خطابك يحسبك أنشأت مكتب بريد
 خاصاً ، مقرأ هذه الكلية ..
 - مت بعظك !

صحيح أن بعض الخطابات غير مفهوم ، وصحيح أن
 بعضها لا يصدق .. إلا أن كثيراً منها يحوى أشياء
 مثيرة للاهتمام حقاً ..

من ضمن هذه الخطابات كان هناك هذا الخطاب
 الطويل ، الذى سلمه لى باليد شاب يدعى (سالم محمد
 شحاته) ، الذى نشرته كاملاً فى الكتيب الثامن تحت
 عنوان (أرض أخرى) ..

ولقد سلمنى خطابين آخرين بعد ذلك .. واحداً
 سألته تحت عنوان (أرض المغول) ، وواحداً تحت
 عنوان (أرض العضايا) (*) .. ولا داعى لأن أقول لنى
 ميل لعدم تصديق هذه القصص لنى يضرنى بوابها
 الأبخ (سالم) ..

لكنها - جميعاً - شائقة .. وكلها تطلق عنان الخيال ..
 لهذا لا أرى ما يمنع من نشرها يوماً ما ..

(*) العضايا معناها لزولطف ..

هناك خطابات عدة بلغات أجنبية . لا أعرف أكثرها
منها خطاب يقول لي بمودة ولطف :

- أرفتمار ثور هاداميل ميرتيدير نالواد شيلوث .
وأنا أحب هذا الأستوب الرصين المتعاسك . ودقة
الإعراب .. وبين كنت تعنى ألا لموت قيل أن أعرف اسم
هذه اللغة .. لتي تكنت من أنها لميمت لفرسية ولا
الإيرانية ولا الأوردية ولا الألفانية .. ولا

هناك خطاب آخر كتب بحروف سلافية .. تلك الحروف
التي تجعلك تقب الورقة عدة مرات بحثاً عن التوضيح
الأمثل للإمسك بها .. لأنك تجد حرف (أ) للاتيللي
مقلوباً .. فإذا قلبت الورقة وجدت حرف (ن) للاتيللي
مقلوباً .. وهكذا ..

لن أهنئ لو كان هذا الخطاب من لكونت (دركبولوا)
نفسه .. يهتلى بعد ميلاد ..
ثمة خطاب ثالث هو أقرب إلى نظرد .. ألفت عليه
عشرات تطويح تحمل اسم (هيلاس) - اليونان - وبدلته
ثلاثون ورقة من الطبع تكثير .. كتب عليها بالانجليزية
ما هو أقرب إلى قصة طويلة معقدة .. وبخط صغير
جداً ..

التوقيع يحمل اسم تيروفسور (تيمستريوس
كوبرانوس) ..

ومرفق بالخطاب بعض صور غير واضحة تشبه ما ..
مع أسهم باللون الأحمر توضح تفاصيل هذا الشيء ..

* * *

ولمي دارى - مع كوب من نشاي الثعلب - رحت أطلع
هذا الخطاب قسباً في طولهِ ..

ومرة أخرى شعرت بلقنى أدخل عالم المرأة المسحور .
لأعيش في كون آخر .. وعالم يختلف في كل شيء عن
عالمى هذا ..

وحين انتهى الخطاب .. دلت عضلات عيني - العضلة
لهيئية بالذات - قد أهكت .. وشعرت بأن عيني تحوتنا
إلى سافى رياضى بعد سباق احتراق الضاحية عدواً ..

لقد ظن هذا الـ (كوبرانوس) أنه يكتب فرق طابع
بريد - ومن يدري .. وربما استعمل الجهر في كتابة
خطبه هذا ..

على كل حال .. أما وقد انتهى الخطاب فأننا أجد
مسلياً إلى حد لا بأس به ، وبه مساحة ما من الرعب ..
لهذا سأترجمه لكم في الصفحات التالية ..

وكالعادة .. سأعود قبل أن ينتهي الكتيب لأعطي هنري
هذا كله .. فذكروني أن أفضل ذلك لرجوكم حتى يحتفظ
الكتيب بطابعي ..

وفي الكتيبات القائمة سأحاول أن أتقن لكم القصص
الأكثر إمتاعاً .. لأقدمها لكم على هذه الصفحات ..
بالتالي ستستريحون من ترثري لفترة لا بأس بها ...
وإن كنتم ستجربون أسلوبى وسفرتى المقهّنة بين
السطور وفوقها .. لأننى سأعيد سرد كل شيء بنقسي ..
ترى ماذا يحمل لنا هذا البروفيسور (كوبرتوس) من
ساعات سينة ؟

القبوا تصفحة إذا كان رقمها قريباً .. أو نظفوا إلى
اليسار إذا كان رقمها زوجياً .. لتروا بأنفسكم !

* * *

٣ - عودة إلى اليونان ..

عزيزى د . (إسماعيل) :

طلعت بملق الاهتمام ما ورد فى مجلة (...) عن
مغامرتك مع هؤلاء (لزومى) فى (كاريبي) . كما
طلعت بشغف حكايتك مع رأس (ميدوما) .. تلك القصة
التي تحدثت عنها الجرائد ليونانية كثيراً .. وللأسف
كان الأمر كله لجزء من أن يكون حقيقياً ..

تا - بوصلى علم آثار مخضرمنا - أعرف (ميخائيل
كاراكيس) جيداً ، وأعرف أنه أقرب إلى نصاب وسيم
منه إلى العلماء .. وكان بإمكانى أن أريحك من تلك
المأساة التي عشتها فى جزيرة (كاراكوس) لو أنني
علمت طرفاً من الموضوع ..

على كل حال يقضى (كاراكيس) وزوجته الإنجليزية
أعوام السجن لمؤبد الآن .. ومن المؤكد أن العلم لم
يخسر كثيراً جداً بفقدنا ..

وحين طالعت هذه الفصحة ، ظننت في عيني الباطن
فترة لا بأس بها .. وكان طبيعياً أن يظن وجهك إلى
سطح أفكاره حينما اصطدمت أنا بقصة جديدة من عالم
(الميثولوجيا) اليونانية . وهي قصة قصة غير مبهجة
على الإطلاق ..

وحين كتبتك هذا الخطاب لا أظن في معونة منك ..
ولا أظن في رأي وإن كان صائباً .. بل أنا راغب في
أن تعيش معي هذه التجربة الغريبة . وإن تدرى فيحدث
تعليم ما وراء الطبيعة كما تربيت لأفهمي .. إن الإنسان
هو حشد من خبرات من سبقوه .. وأنت حين تقول
عبارة مثل : دخلت دارى فأضكت المصباح الكهربى ،
وخطوت إلى الثلاثة فتناولت قهها من الماء . وفتحت
التلفزيون . حين تقول هذا .. فلا تنس أن أبدأ ما كنت
وهي تغازل من أجل ابتكار المصباح الكهربى .. وأجبالاً
فقلت من أجل اختراع الثلاثة .. وعقولاً لا حصر لها
كانت تلجج وهي تحاول ابتكار التلفزيون ..

إن الإنسان هو تجارب من سبقوه .. ولو لم تصلنا
خبرات كل هؤلاء لأخذها أو نضيف إليها : فلن كنا

سنكون لنوم ؟! مقدمة طويلة هي .. متخلفة ربما ..
لكنى لا أجد طريقة أخرى ليرر بها كتابة خطبى لتطويل
هذا ك ..

وغدا ستعرف عن (المينوتور) قدر ما أعرفه أنا ..
برغم ثبات بلديا والخلاف لسائبا ..
أليس هذا قائما ؟ .. أليس هذا ساهرا ؟

* * *

اسمى (ديمتريوس كوبراتوس) .. أسدلاً في علم
الأثر .. وبالطبع أنا مهتم بالأثر (الهلنيدية) .. أتبع
من لعمر خمسين عاماً .. متزوج ولى طفلة جميلة
تدعى (ميليسا) .. وهذا يعود لأننى تزوجت في سن
الأربعين .. السن التى يتزوج فيها كل من يخشون
تزوج ويخشون لوحدة كذلك ..

صفتى الجسدية قد لا تفنك كثيراً .. لكنى - ليسهل
التخيل - قصير القامة للغاية .. متضخم للرأس .. أميل
إلى الهزال .. أدخل العيون طيبة الوقت ليكمل مظهر
العالم الذى أصبو إلى أن أكونه .. من يعرفونى يقولون
إننى هادئ الطباع .. أقرب إلى الخجل والبعث عن
الأخرين . وأنت تحتاج إلى وقت لا بأس به كي تكسر
أسوار تحفظنى ..

من يدري ؟ .. ربما كان هذا التحفظ دواعياً لقي به
 نفسي سخيرة الآخرين من غرابة منظري .. وأعترف
 هنا أنك لا تستطيع الكلام معي دون أن تخشى رأسك ..
 ولا تستطيع أن تمنع ابتسامة سخيرة على شفثيك .. قد
 تدرك الأمر فتجعلها ابتسامة تنطفئ ..
 لا أرى ما جدوى هذه التفاصيل بالتسمية لك .. لكنها
 على الأقل ترسم الجو المحيط بي كاملاً ، وتجعلك ترائي
 بدلاً من أن تسمعي قحسب ..

* * *

نحن الآن في (كريت) ..
 لابد أنك تعرفها إلى حد ما ، من مغامرتك السابقة التي
 كتبت قريية منها .. جزيرة تبحر المتوسط الهلانية التي
 تقع جنوب بحر (إيجة) .. حيث نشأت أول حضارة
 غربية على الإطلاق وهي حضارة (المينو) ..
 عاصمة (كريت) لغابرة التي كانت مزدهرة منذ
 خمسة عشر قرناً هي (كنسوس) .. وهي المكان لنذى
 سندور ليه قصتنا ..

ماذا بوسعي أن أقول أكثر عن (كريت) ؟ ..
 إنها أكبر جزر اليونان .. تمتد الجبال بها من الشرق
 إلى الغرب .. لها سهول ساحلية ضيقة .. ويعيش بها

رعاة خشنون .. ولا تنتج الجزيرة سوى التبيذ وزيت
 الزيتون ..

إلى هذه الجزيرة الباسية وصلت وأسرتني لصغيرة ،
 وفريق مكون من رجلين (بيسيلوس) و (ستافروس) ..
 وكلاهما يعمل بالأثر اليونانية مثنى ..

واسفرتنا في خان صغير بالبلادة ، وجنشنا بعض
 سكان الجزيرة ليكونوا عمال حفر لنا .. ولم يكن هذا
 عسيراً ، لأنهم اعتادوا مجيء هؤلاء تمخابيل من (أثينا)
 الذين يحفرون الأرض .. ولا يتكون حجراً فوق حجر
 كأنهم خلدان مسعورة ..

والمحصلة دتما هي رأس مهتم لـ (أبوتو) أو نراع
 مفككة لـ (فينوس) .. أو ربح صدوا ..

ثم يعود المخابيل إلى (أثينا) وتنتهي الضوضاء إلى
 حين .. وبعد شهر يوضع لرأس في المتحف اليوناني ،
 وجواره بطاقة تقول إنه (رقم ٣٢١٦٧٢ - أ) و (من
 حجر البازلت) .. ثم يتسنى الأمر برمته ولا يهتم به
 أحد ..

هذا هو صمتنا .. ونحن لا نقفم ..
 لكننا اليوم نشعر بأننا مقبلون على كشف هام نوعاً ..

* * *



وجدنا جزءاً من جدار كتب عليه اسم (مينوس) ..

نسألني عن كنه هذا الكشف .. وعن العلامات التي
 نقرتها به .. أقول لك إن جميع الدلائل توحي بهذا -
 ١ - المنطقة التي نعمل بها هي (مينوس) لها تزيخ
 حافل جداً .

٢ - يتحدث الأهلقي عن (شيء ما) يحدث هنا .
 ٣ - وجدنا على حدود المنطقة أكثر من لوحة حجرية
 كتب عليها حرفاً : لمعد عن هنا أيها الغريب .. وكان
 جميعها مدفونة تحت أطنان من الغبار .
 ٤ - وجدنا جزءاً من جدار كتب عليه اسم (مينوس) ،
 وهو ملك أسطوري له (كريت) لا نعرف عنه شيئاً إلا
 من الأساطير الإغريقية .

٥ - هذه المنطقة بكر تماماً . ولم يعبث بها معول
 الباحثين على التقيض من باقي أجزاء (كريت) . التي
 تحولت إلى مزار للزرائب البرية من كثرة الحفر .
 والآن تم اتخاذ القرار بأن نبدأ الحفر في منتصف
 لقطاع تماماً .. عند مركز دائرة التي تنتشر اللاتبات
 على حدودها .. وبدأنا العمل في يوم قاتظ ..
 يوم من تلك الأيام التي تشعر فيها بأن الحر يحرق
 روحك . ويبخر الهواء من رئيتك قبل أن تتنفسه ..

الرجال الأسماء نزعوا قصصاتهم وراحوا يهيون
 بالمعاول فوق الصخور الجيرية التي تشكل أكثر مساحة
 (كريت) .. ومن حين لآخر يصاب أحدهم بضربة شمس
 فيقع وينهار .. أو يوشك على الموت .. ويهرع آخر
 ليجرح الماء ويتلع بعض الملح .. ويخرج آخر زجاجة
 (نبيذ) يرشف منها رشفة على أمل أن يلازاه ..
 أحياناً يتهدنون السباب باليونانية الفجة .. أو يتهدنون
 نكتاً بذيئة لا أومهم عليها كثيراً ، وأدير بصري في
 مساعدي (باسيلوس) و (ستافروس) .. وهما تقيضان
 في كل شيء ..

(باسيلوس) نموذج لشباب المتحمس المتدفع .. الفخور
 بوسلمته .. والذي لا يرحم مرءوسيه ، ويرى يوماً أنهم
 لا يقدمون أقصى ما عندهم .. وأنهم شرذمة من الكسالى ..
 إنه ذلك الطراز من تبشر الذي لا يخفى - بل ويسره -
 أن يكون مكروهاً ، وأن يرى نظرات لمقت في عيون من
 حوله ، لسان حله يقول - مثل (راسبوتين) - إنه كلما
 كثر أعدائي زادت قوة ..
 أما الآخر - (ستافروس) - فهو رقيق إلى حد
 الأنوثة .. رحيم إلى حد الخشونة .. من طراز الشيب

الذين أعدهم أهلهم لعالم لا وجود له .. عالم مفرداته
 هي (من فضلك - عفواً - أستسمحك عزراً - شكراً) ..
 وتكويله الجسدي مقارب لتكويله النفسي ..
 فهو بدين نوعاً .. مزاح .. نشعر حين نرى عيبيه
 أنه يوشك على السقوط غليفاً في أية لحظة ..
 ووجهه - الخالي - من الخشونة الرجولية - أقرب
 إلى وجه بقرة مسترخية راضية بما حولها من عشب ..
 لكنه - لشهد - يملك عقلاً راجحاً يلوذ بمراحل عقل
 زميله الذي يشبه الطاووس ، ولا يفوقه ذكاء ..
 بهذه المجموعة الشاذة بدأت عملية التثقيب بحثاً
 عن ... عن ملأ .. عن شيء ما ...

عندما تزايدت حرارة المناخ ، وعندما ازداد عدد
 الإغصات .. وازداد بحر الغناء حتى كان يفرقنا ، أمرت
 بتأجيل الحفر إلى المساء حيث الأسماء الرحيمة .. وعنى
 ضوء المشاعر ..
 فما دعنا لا نظارد أرنباً بريهاً .. لا أرى ما يمنع من
 لتوقف برهة ..
 وجاء المساء ..

المشهد يبدو كحلْم ملون أهواء كثيرةا .. مشهد الرجال
وقد استرجوا بانظلام وضوء التهاب ، وهم يحاربون
النصور ..

صحيح أن البعوض يجعل منا الطيق لرئيسي في وجبة
عشائه .. وأن لتعابين تداعب لقدامنا .. وأن لتقارب
تتكرر من تلوينها ليهبتها في ساعات نزهتها الليلية ،
لكننا نستمتع بالحفر القليل دون شك .. خاصة مع أغصن
الرجال الغربية على أننى ..
الحفرة تتسع ..

وانتو منها لاقتى لظفرة مدافقة .. ثم أنسىء كشافي وأتمل
جوانبها ... ويدنو (ستاروس) منى ليرى ما أراه ..
- من المؤكد أن هناك شيئا ما هنا .
- هذا محتم .. هذه الجدران المهذمة تؤكد ذلك ..

كانت هناك فتحة .. والفتحة تبدو كأنها في سقف ما ..
ونحن الآن نقف فوق هذا السقف .. ترنو لأسفل
عاجزين عن رؤية ما يتورر بداخل ..

أشرت للرجال كي يوسعوا الفتحة أكثر .. فتتكرر
أحدهم من أن توقيت متأخر بما يكفي .. وهم يعملون
طيلة النهار و ... قاطعته صانعا :

- لما لن آخذ من وقتكم أكثر من ربع ساعة ..
- إن الأجر الذى

وهنا تدخل (ياسيلوس) فى كبرياء ، ليؤجر العامل
ويجزئى معه دون قصد :

- عيه !.. لا تملكه يا بروصور .. ولا تتوسل إليه ..
لنا أعرف هذا الطرز من القوم .. يريد الانصراف
ليلحق بالحقبة مبكرا . حيث يحسو لترين من (الأوزو) ..
ثم يعود لامراته نيوسعها ركلا وصغعا حتى الصباح ..
ويجىء منها نيعن أنه بحاجة للراحة !..

نظرت له لعامل فى غل ، وارتسمت بسمة شريفة
صغراء على وجهه ، وأقسم أنه كان طليقا بتهشيم رأسه
الجميل بالمعول لو كان تهشيم الرعوس حقا مشروعا
للإنسان ..

أشرت للعامل أن ينصرف .. ويعاود الحفر ... ثم
استكرت إلى (ياسيلوس) لأصارحه محققا برأى :

- إن هؤلاء القوم فقراء يا (ياسيلوس) ، لكنهم لم
يقسروا روحهم بعد .. فلا تفرط فى إهانتهم معذرا
على حاجتهم للمال

- حسن سيدى .. لكن بعض الحزم

هنا صاح (ستافروس) :

- هل يكفى هذا القدر يا برونسور ؟

نظرت إلى الحفرة .. دلوت منها وسلطت الكشاف
على قاعها .. وابتعدت ريقى ..

- هل هذا كاف ؟

سألنى (باميتوس) من وراء ظهري ..

لكفى لم أزد عليه ..

كفت شارل الذهن لرمق القاع ..

هل تمنا واهم أم أتسى ترى عظمتنا أعمية مكسفة

هناك!؟...

* * *

٤ - القية ..

بالتأكيد هي عظام ..

وبالتأكيد هي أعمية ..

لكن كشفاً كهذا ليس فريداً في عالم الآثار .. فللعظيم

ذاتها آثار مهما اختلفت حول هذا الرأي لو ذلك .. لمهم

هو ما بداخل الحفرة ..

وحول ضوء لمصباح رحلتنا نتجادل باحثين عن

السياسة المتملى لتعامل مع هذا الكشف ، الذى قد يقودنا

إلى أفق أرحب ..

ورأينا أن لصبوب الحطول هو أن تعود إلى ديارنا ،

وفي الصباح المبكر يتنلى أحدهم من القفحة بحيل ليرى

ما يدور بالداخل ..

هل هي مقبرة ؟ لا أتوقع ذلك .. فالمقابر لها تصميمها ،

ولها راحتها ، ولها طابعها الذى لا يعجز عن تمييزه

عالم آثار أو حائوسى ..

من يدري ؟ لربما كان هذا بيتاً أو قصراً مغموراً ..

غفل عنه لزمين ردها .. ثم شاء حظه العاشر أن نجد
نحن ..

على كل حال .. سنعرف هذا غدا ..

* * *

عدت إلى لندن .. إلى غرفتي الصغيرة هناك ؛ حيث
كانت زوجتي (هيلين) جالسة تحببني شيئاً ما على
الآريكة .. وابتسني (ميليسا) تتسلى برسم شيء ما على
الورق لمتناثر على الأرض ..

إن (هيلين) تصغرني بخمسة وعشرين عاماً ..
وأعتقد أن ما يربط بيننا هو ما يسمى بالحب .. فالشيء
الذي يدفع شابة حسنة مثلها إلى أن تتزوج رجلاً غير
ذي مال ولا وسامة ولا قوة ؛ فهو شيء غير مصادي
بالتقليد .. وأعتقد أنه أقرب إلى لفظة (حب) ..

كنه لا تبدى هذه العطفة لبدأ .. وتعاملني معاملة
رسمية متحفظة جافة . كتعامل الرجال المهابين مع
الغرباء ..

أما طفنتي (ميشيلا) فهي شره رابع .. شقراء
كعذراء (الأوليمب) زرقاء العينين كـ (مينوس) - لو
كانت (مينوس) زرقاء العينين - وهي تحبني دون

تحفظ .. وهذا هو أجمل ما في الاطفال .. الحب يعطى
دون لمن ولا تحفظ .. ويعطى كثيراً جداً ...

- عمت مساء يا (هيلين) -

- مساء ! ..

هذه هي تحية العمساء التي اختصرتها إلى أقصى حد
ممكن .. فلو أنها استطاعت الاكتفاء بنهمزة لفعلت ..
وكما ترى فالتأثر لم يست من عيوب زوجتي .. وهي
كنت لا تفرط في واجبها ..
- لعشاء على المتعددة ..

فذهب إلى هناك . وأرفع الغطاء المصنوع من قطن
مجنون .. لأجد بعض التسطير وحبيبات الزيتون ،
أعدتها لي على عجل في مطبخ الخسان .. أجلس لالتهم
هذه الوجبة الهائلة .. وبالمسكين أقطع بعض شرائح
الخبز أسها في قسي وأرشف بعض (الأرز) ..

* * *

(ديمتريوس) .. لا تنم أرجوك .. لا تغلق عينيك ...

* * *

(ديمتريوس) .. أسمع بانني كذب ليف في الدار
ينتظر عودة سيده ليلاً ..

* * *

(ديمتريوس) .. أنت لم تحقق شيئاً ولن تحقق ..
خمسون عاماً من الدوران كالكذابة في غرفة موصدة ..
وعداً يفتحون النافذة لتخلق منها نحو الأبدية .. غير
ترك في الغرفة سوى صدى زيل جناحك ..

* * *

يمكنني غذا - أو بعد غذا - أن أعب دور الزوج المحب ،
أما الآن فلنأ لا أضح لأى عمل سوى النوم ثماني
ساعات متواصلة .. للأسف نحن محرومون من الاستحمام
في هذا الخان لأنه - ببساطة - لا يوجد مكان يصلح
لهذا .. ولا سبيل أسلمنا سوى الذهاب إلى العجوز (إيرين)
للاستحمام عندها مقابل دراهمتين أو أكثر ..

وكذا ترائي ياد - (رافعت) رافداً في الغرائث على
قهري .. وصدري يغلو ويهبط .. وخطيطي يغلو
ويخفت .. وأحلم ..

أحلم ببئر مظلمة لا يشيرها سوى شعاع كشاف ،
وعظام آدمية تنكس بلا عدد .. بلا عدد ...

* * *

في ضوء النهار الفتق الذي لم يعموه الغلظة بعد ..
أقف وسط لرجال أرق أبهر التي حفرناها في نظلام
أمن ..

ولد أرق في هذه المرة شيئاً غير عادي .. فما هو
تطريف أو التجديد في بئر نعلو يتساء غامضاً ، وتبطن
لعظام أرضيتها ؟!

نظر (بسيلوس) إلى الرجل نظرة صرامة .. وفي
اشمزاز طلب منهم أن يجلبوا تسلم المجدول من
الحيال .. ثم راح يشرف على تثبيته إلى وتكين على
جانب فتحة البئر .. ومد يده يدفع السلم لينحدر غير
لفتحة حتى لاس لقاع ..

وبحركة درامية لا داعي لها على الإطلاق .. تظفر
لحوى .. وهز رأسه طقياً أن أتعنى له حظاً سعيداً ..
فهبزت رأسى كائس (الهايا) يدعو له .. وعلى القور
راح يهبط لأسفل فوق درجات تسلم ...

ندا (ستافروس) من خلفي .. ليتأمل لمشهد وهو
يلهث كالغليزير .. ثم غمغم :

- فتى شجاع .. لكن الموقف لا يستحق كل هذا المناخ
الدراسي .. إنه لا يضحى يتلمسه إلى هذا الحد الذي
يتظاهر به .

قلت وأنا أشعل غليونى :

- هذا القصر يعيش حياة عشق مبرح لذاته .. عشق
يصل إلى حد البدء .. وثما وثائق له هو وهو سعيدان
معا إلى أقصى حد ..
وقد جاء سمعنا نداء مزججاً قادماً من البلبل .. فهرضا
ترو ما هناك ..

كان صوت (باسيلوس) يصيح من أسفل :
- يروقور ! هلا نزلت إلى أسفل معي ؟ .. تعلى
ومعك (ستافروس) !

تبادلنا (ستافروس) نظرة متسائلة ..
ثم تسرعت لاهتاً تنزل درجات السلم والغليون في
فسي .. حتى شعرت بأنني ألتقي .. بتواقع ثم أعد لك
أي نوع من التيقظ لهدنية .. وتلاقي لتمرهل (ستافروس)
الذي لم يكن للفضل حالاً ...

كان ارتفاع الأرض عن قاع الحفرة خمسة أمتار ..
لكنها بدت لنا كأنها تهبط من فوق جهنم (كليمنجارو) ..
وعلى الأرض كان (باسيلوس) يقف مبتسماً .. عالقاً
لرأعيه على صدره .. وقد وضع الكشاف الذي يجعله
على الأرض ترى موطن قديمنا ..

نزلت لتقف جوارده .. وعلى لتلور فهدنا سر تدله ..
وسر أنبهاره .. لقد كان المكان الذي يقف به ممعداً إلى
مسافة لا بأس بها .. جدران قاتعان بدأ عليهما التقدم
بشكلان دميماً .. وفوق الرعز من ترى ضوء الشمس
يتسرب من الفتحة التي منها نزلنا ..
- آرين ٢ هذا نفق ..

أعدت إشعل غليوني .. وتأسست الموقف :

- هذا حق .. ولكن إلى أين يزدى ؟

- ربما إلى مقبرة !

وتأملت الأرض التي نقف عليها .. كانت من حجر
الصند .. وقد تكسست فوقها العظام التي رأيناها من
أعلى ..

بتواقع كانت العظام متناثرة هنا وهناك .. في كل
مكان تقريباً داخل هذا النفق الغامض ..

ولكن من أين جاءت ؟ .. لو كانت هذه مقبرة فالمفترض
أن تتواجد العظام في شكل منسق بهيج ، فوق رفوف
محفورة بالجدار أو في صناديق خشبية متألثة ..

أما إن توجد هكذا كل هذه من عبث بها وبعثرها ،
فأمر لا يفهم ولا أستطيعه بثقة ..

رقت لكشاك إلى أعنى مرسلنا لشعاع إثر نهابة
 للتفق الذي نطق فيه ، قرأيت جدارين يمتدان إلى بعيد ،
 ثم يدوبان وسط الظنمة التي لم يستطع للشعاع أن
 يبددها ..

- هلما يا فتيتان لنرى ما هناك ..

وبدت الشمس بخطى مترددة ..

غريب هو هذا الشعور الذي لا يوصف ، والذي
 يدهمسي كلما مشيت في مكان لم يدخله سواي .. لو لم
 يدخله سواي منذ زمن سحيق .. إن الجدران تكتمب
 علفذ شخصية مهيبة صموتا .. وأكاد أشعر بها ترافيتي ،
 وتحصي ألفاسي ، كلما تحاول سير غور هذا الدخيل ..
 مثلما يحدث في الأتلاق الرديئة عندما يدخل غريب إلى
 حانة يملؤها الرعاع .. فيتوقفون عن التثريرة والضحك ..
 ويشبتون عيونهم عليه في فضول وتحذ .. محاولين أن
 يقوموا وزنه ..

هذه لجدران معالية .. أكاد على هذا لأسم ..

ثمة علامات على بعض أجزاء الجدار .. كلما هناك
 يد قد رسمتها به (الظشور) ..

وبصعوبة تبينت هروفا يونانية كتبها لأحدهم ..



ثمة علامات على بعض أجزاء الجدار .. كما هناك يد
 قد رسمتها به (الظشور) ..

ي ... ن ... ت ... ون ... ي ... ن ... ت ...
و ... ن ... و ... ن ...

مال (يسيلوس) يتأمل الكتابة على ضوء الكشف ...
وقى ولحمة غصم - وهو يترك قطعة السن :

- هذا المعتود كان يهوى الكلمات المنفاضة ..

رتجف (ستلروس) ، ومسح جبهته بيده .. وهمس :
- بل هو تحذير على طريقة (دنتي) .. لقد تكهيل

(دنتي) أن لجحيم قد كتبت على بله عبارة يا من
تدخلون هنا .. دعوا خلفكم كل رجاء .. هذه العبارة

لا بد أنها تقول : يا من تتلون بعدى .. أت .. أتركوا
وراعكم الأمن .. أو شيئاً من هذا القبيل ..

جز (بنسيلوس) رأسه على مثل .. وقلق :
- إن هو معنوه وشاعر .. لقد بدأ هذا يتغير التماسي ..

- دعنا نواصل الفحص ..

ورفعت الكشف .. ورحمنا تشق الظلمات بشعاعها ..
فكلما زالت الظلمة وجدنا المزيد منها بالتكفرنا ..

لا بد أننا لم نعلم سوى عشرة أمتار ، حين توكف
(ستلروس) وأشار إلى جدار بسد تتفق أمام وجوهنا ،

عكس ضوء الكشف كالأفضل ما يكون - حتى تبدد الظلام
تماماً .. وهنق :

- يبدو أن هذه نهاية المغامرة ..

تلكس بقوت من تجدد .. ونظرت إلى اليمين ..
وإلى اليسار ..

كان هناك ثقب يمتد يميناً .. ولحق يمتد يساراً ..
وكلا الثقبين يعنق من قبضة شياطين اللطم ..

- فلتر ما هنالك يا بروفسور ..

- لا داعي يا شباب ..

ونظرت لهما باسمناً .. وانتزعت ثقبين من فمى :
- أعتقد أن هذا هو (اللايبرث) الأسطوري .. لقد

وجدناه أخيراً ... !

* * *

٥ - أشياء غير مألوفة ..

أنت مثلى ياد .. (رفعت) تلهم سحر تمجهول
وبريقه .. وزهيته ..

القشعريرة المقدسة التي تغزو عمودك لظفري ، كلما
فكرت في تنوج (الهيمالايا) .. أو أعماق المحيط
المظلمة .. أو غابات (الملايو) التي لم يجرؤ إنسان
على اجتيازها ...

أنت تلهم هذا .. ولسوف تريحني من عبء الكلام
عنه ..

أنت تلهم هذا .. لذا لن أطيل في وصف هذه
الجزئية ..

* * *

- (اللابريث) ؟ .. تعني الشيء الذي قام (ميدالوس)
ببنائه من أجل (مينوس) ؟

- بالتأكيد .. إن الأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء كي
نعرف أن هذه الممرات متشعبة إلى حد لا يُصدق ..

يوجد بناء أثري واحد يحمل هذه السمة وجميعها يعرف
اسمه ..

ثم إنني رفعت رأسي لتسقف .. وهتفت بصوت
مجلجل :

- ليها سيدان .. إن التاريخ يُصنع ها هنا ..! ..
أجنى (ستافروس) يتأمل الأرض .. ثم جثا على
ركبتيه وأمسك قطعة منساة من لعظام .. عالمة ساعد
هي حتماً .. وتساعن :

- سيدى .. هل تعنى أن هذه لعظام هي ..

- نعم .. هي

- عظام ضحايا (المينوتور) ؟

- حتماً .. وإلا بهم تفسر تبعثها في كل موضع بهذه
الكيفية ؟ لو كانت هذه مقبرة لوجدنا العظام مرتبة ..

ولو كانت مقبرة وسطا عليها لتصوص فكيف خرجوا ؟
نظر لي (بنسيلوس) ويصق قطعة اللبان .. ثم حك

رأسه في حيرة .. وقال :

- لكننا جميعاً نعرف أن هذه أسطورة ..

كثت في صبر :

- (المينوتور) أسطورة .. هذا رأي يحتمل لصواب
والخطأ .. من الممكن أن يكون أسطورة .. لكن

(اللابيرنث) حليقة .. وقد تم إقدام الاسطورة عليها ...
 متر قصة (أوديب) مع (ابو الهول) .. القصة مختلفة
 لكن (ابو الهول) حقيقة واقعة*! .. ولقد نشأت كثير
 من أساطير البشر بهذه الكيفية .. لكن - برغم ذلك -
 لا أرى ما يمنع من أن يكون (الميلوتور) حقيقة ..
 جنس (ستافروس) على الأرض متربعا .. وهو
 مازال يظهر بالعظمة شرار الذهن .. ثم قال :
 - والآن .. ماذا سنفعل ؟

قلت وأنا أشعل غيوتى الذى تطلقا ثنية :
 - لا شيء .. نغادر هذا التلحق .. ثم تعود وفى بيتنا
 ألا نضرب الطريق بداخله .. ومعنا ما يلزم من حبال
 وأجهزة اتصال لاسلكية ومعاول .. وعندما نتحقق من
 أننا وجدنا شيئا همتا ، يمكننا إبلاغ هيئة الأنا فى
 (ألبانيا) .. إذ يبدو لى أن هذا التيه أكبر من قرأتنا ..
 نهض (ستافروس) وتناهب .. قرمته (بانسيوس) فى
 فى شمنزاري .. وسمعتة يغصم فى حلق :

(*) المواجهة شهيرة بين (أوديب) والوحش المصري الذى
 له رأس امرأة وجسد أسد .. لقد وجه الوحش سوالات عديدة
 لـ (أوديب) - لكن هذا الجلب عنه - من ثم تحول الوحش إلى إنسان
 عليل ..

- كيف يمكن تلامسنا ان يكون خنزيرا كسولا إلى
 هذا الحد ؟

نه أعلق .. بينما نحن عائدون إلى لفتحة النى قرأتنا
 منها .. ورحنا - بغناء كثير - تتسلى نسلم الليفى إلى
 أعلى ..

وفى الخارج كتبت الشمس لحارقة تنوير الموجودات
 بلا رحمة .. وكان الرجال مبعثرين وقد مسك بعضهم
 الماء على رأسه .. أو رقد على الجذع تحت قطعة
 قماش يحاول أن يجد تحتها ظلاً ..

ولم يبد واحد منهم أو فضول لمعرفة ما وجدناه ،
 فالفضول لم يك قط من مزاجهم ولا عيوبهم ..

أصدر (بانسيوس) بتعال تعليمته لهم أن يعودوا
 لبيهم حتى إشعار آخر .. ثم راح و (ستافروس)
 يدقن بعض الأوتار المعدنية حول فتحة البئر لتسى عرقنا
 الآن أنها ثقب فى سقف التيه ..

وقاما بربط حبل غليظ ما بين الأوتاد وبعضها ، ليكون
 سورا بحجب الأطفال والفضوليين من المفوظ فى البئر ..
 أما وقد تم هذا .. فقد انصاف النهار - وحين وقت
 العودة إلى ديارنا .. على عرفاتنا ..

* * *

فيما بعد عرفت ما يلي :

لقد عاد (بنسيلوس) إلى غرفته في الخان .. ونزع ثيابه شاعراً بالتضيق لكون الحمام غير متاح .. تكن الأمر عاجل .. فقد تحول شعره إلى عجينة من الشراب والعرق ، لذا قام بالأسلوب العملى الوحيد ، وهو أن يستحم مستعملاً فصعين .. واحدة يملؤها بالماء .. والأخرى يبقف فيها حتى لا يغرق الماء الأرضية ، ويكوز صفحى صدأ يسكب الماء فوق رأسه وباليدي الأخرى يفرغ قطعة الصابون على جسده ..

وفي رضا رالب للماء تمتسح الذى تساقط من عليه .. شعور ممتع هو أن يعرف أن هذه الأقدار لم تعد تكسوه ..

ارتدى الثوب زراح يتأمل فى إعجاب صورته فى المرآة ..

وهناق الباب .. ورأى خيالاً مألوفاً يحمن عشاءه منعكساً فى المرآة .. هذه هى (إيزبيا) ابنة صاحب الخان .. وهى فتاة تمك قدراً متواضعاً من الجمال .. لكن لا يمكن وصفها بالفحيح .. إذا تجاوزتنا عن عرج بسيط ..

نصبة هى .. بالنسة .. يسهل على من يعرف لتساء أن يعرف أنها تحب .. وبالطبع هو حياً غير مولى بحال ..

- هوذا عشائك ..

قاتتها . ووقفت جواره صامئة تتأمله ، إذ يحدث فى المرآة ..

- هل تريد شيئاً ؟

لاحت بلصت .. لتوان .. ثم تهافتت .. ودقنت وجهها بين خصلات شعرها الأشقر .. ومن كينها تصاعد صوت نههة ..

فى نقاد صير سألها :

- أن تكفى عن هذا الهراء ؟

- بلى .. بلى .. سألغ ..

ولداد صوت النههة المتصاعد منها ارتفاعاً .. ارتف (بنسيلوس) :

- لا أرى ثم تأخذين الأمور على هذا المنحى .. إن الرجال يروهون ويحبون .. فلماذا أكون أنا وهدى المسئول عن تعاستك ؟ صه .. لا تقولى شيئاً عن

الحب .. فلما لن أمتح عواطفى لإهنة صاحب خان أبدا ..
ولقد تدنيت كثيراً حين أهدت لك لطفاً .. تكن القصة قد
تتهت الآن يا فتاة .. ولا داعى لأن تفسدى فصولها
الآخيرة ..

- لكنى أحبب ...

رفع أصبعه محذراً وعنى وجهه تفضيية جادة :

- صه ! .. هأنكذى تعودين الى لفظة الحب .. ولا أكرى
حقاً ما هو هذا الحب الذى تترنبن به .. تنظري لهذا
لحصاء ...

ومذ لتعقبة الصلابة فملأها من طيبق الحماء ..
ورفعها لقيه :

- أنا أحب هذا الحماء .. والآن .. ستورب ! .. لقد
شربت ما يطبقى .. ولم أجد أحبه .. الأمر كهذا ودون
تعقيدات ..

توقفت الفتاة .. وحاولت أن تقول شيئاً . بينما
(باسبولوس) يلوك ما بالحماء من بصل وهو يرمىق
صورته فى امرأة دون أن يحرك ساكناً .. وفى اللحظة
لثانية هزعت الفتاة مغادرة لبحرة ..

موقف قاس - خطر له هذا - لكنه ضرورى .. وهذا
هو قدره .. كمن وجد فتاة أسامة ظن بلاحقها .. حتى إذا
هامت به حياً صارحها بانها غير جذيرة به .. موقف
قاس واجهه مرارا .. لكنه ضرورى .. فلن أن أحدا ترك
لأولئك الفتيات الجبل على الغراب . قسلاً يلقى من
ذلتيه ؟ ومذاً يلقى من حربته ؟

لكن هذا الحماء نذير الطعم حدا ..

* * *

ليما بعد - أيضاً - عرفت ما بسى :

كان (ستافروس) فى تلك الأثناء جالساً فى حجرته .
بدون التقرير الومى عن نشاط الحفر .. حين دق
الباب .. وراو تلك الفتاة الرقيقة (إيزيبا) ابنة صاحب
الكلن . نذلق إلى غرفة لتضع عشاءه على الخوان ..
ثم تهم بالإصراف .. فلماها :

- (إيزيبا) .. تنظري لحظة من فضك ..

فتصنبت الفتاة بحركة آية .. ووقفت لتتظر ..

تأمراً وجهها .. وأدرك ما هنالك :

- أنت كنت تبكين !!

لم تجب .. لكن العبرات تزداد غزارة كلما مائل
التحقيق عنها .. وكانت إجابة كإنع ما يكون .. من ثم
عاد يسأل :

- هل هو (بانيولوس) التعين ؟ .. هل آذاك ؟

- كثيرا يا سيدي .. كثيرا ..

فأنتها بصوت مملوق .. وقيل أن يسألها عن المزيد
كنت قد غابرت لغرفة ..

يا (بانيولوس) التعين .. لقد اعتاد (ستافروس)
أن يجد الخير نقيًا في أثر الناس طرًا .. وأن يجد الشر
في قوى الليل والصباح .. إلا (بانيولوس) .. هذا لوحد
هو شر مطلق بلا ذرة من عطف أو رقة أو حنان ..
إنه نموذج للشخصية الأتية (السيكوباتية) التي
لا تريد من المجتمع إلا مصالحها .. ولا تعطيه شيئًا على
الإطلاق ..

أما سوا ما في الأمر فهو أن (ستافروس) كان يهيم
بافتتاح حيا .. منذ أن جاء إلى (كريت) وحتى الآن ..

★ ★ ★

لهد أن (إيزيبا) وضعت لتدل على كفتيها ، وغادرت
الخان عند منتصف الليل .. وحدها ..

ولابد أنها كانت تبكي .. ولابد أن العبرات كانت
تحول بينها وبين لرؤية الصافية .. كل هذا مؤكد ..

لكن القمر كان يدرا .. وجعلها هذا ترمع أن تتجه
نحو الهضبة حيث كان الرجال يعملون صباحًا ..

من المؤكد لتأ أنها فعلت هذا .. لأن آثار قدميها على
الأرض الجيرية تؤكد أنها اتجهت في هذا الاتجاه ..

كان يمكن أن نقسم إن مشهد الهضبة كان رهيبًا في
ضوء الليل تبرد الغضى .. وخيالات غامضة تتلاعب
هنا وهناك .. لكن الحزن لا يدع في النفس مكانًا لشعور
آخر .. سواء كان الرهبة أو الخوف .. و (إيزيبا) كانت
حزينة ..

حزينة إلى حد أنها لم تلحظ أن الحبال المحيطة
بموقع الخطر قد تعزقت .. وأن الليل صار بلا حدود
تحيطه ..

حزينة إلى حد أنها لم تسمع صوت الخطوات من
ورائها ..

حزينة إلى حد أنها لم تصرخ ..
وبعضها لم تجد الوقت الكافي لذلك ..

★ ★ ★

إبه الصباح ..

وحتى صبحونا من النوم أركنا أن الأمور ليست على
ما يرام في الخان ، رجال يدخلون ويخرجون ..
وضوضاء ..

نظرت نحو (هيلين) متسللاً عما عساه مصدر هذه
الجبهة . وكانت الإجابة سريعة جداً .. وغير متوقعة
بكل ..

أقحم عرقتي صاحب الخان - على غير استئذان -
وهتف :

- لم تر ابنتي (بزمها) ؟ ..

- بلى .. وقت العشاء .. طبعاً ..

- لم يرها أحد بعد هذا .. إنني لا أفهم ! ..

تم فارتقتي غير منظر لردتي ..

خرجت وراءه ، لأجد الخان مئبنا بالوجوه المتسائلة ،
والشوازيب الغضة ، والبساق تظفر من رجال الشرطة
المحنيين ..



حزينة إلى حد أنها لم تسمع صوت الحفلات
من ورائها ..

وكان (باسيلوس) يقف بينهم بقامته المديدة ..
يكرر في ثقة :

- للمرة الألف لقول إنها قدمت لي العشاء ثم تصرفت ..
ولبست ثدي نحس فكرة عن ..
- لغرس أيها الثعبان !..

صاح (ستافروس) في عصبية .. وأنا لم أر
(ستافروس) يتشاجر في هيلتي ، وعهدى به اللبوة
والاستسلام .. لكنه في هذه المرة كان شاكراً كيركان ، وقد
احتشد الدم في وجهه وكاد يسيل من أنفه ..
وريقته يشير إلى (باسيلوس) متهمًا :

- إنني واتق أن هذا القنص مسنون عن اختلافها ..
لقد رأيت القنصة وكانت في حال غير طبيعية .. وأنا
أعرف أن هناك شيئاً ما بين الاثنين ... !
- هراء !..

قالها (باسيلوس) وهو يرمقه بنظرات لو أنها تقتز
لأحلاته إلى مصفاة انمية ..

رفعت كلي في كياسة ، ظليلاً حتى الطبيعي في أن
أعرف ما يدور هنا يشلن اثنين من معاوني ... فقال لي
أحد رجال الشرطة :

- القنصة خرجت من لخان أمس عند منتصف الليل ..
هناك من رلوها تفعل .. وأثار الأدمها واضحة على
الأرض .. ثم لا أثر لها بعد ذلك .. نحن نعتقد أن هناك
من تحرش بها ..

في غضب صاح (ستافروس) :

- بل فتحرت .. بلعت نفسها ، وعندى على ذلك ألف
يقين .. لقد أدى هذا العرق الوسيم روحها .. ابحثوا
يارجال عن جنتها في بحيرة .. أو مهشمة أسفل مرتفع ..
أو مدلاة من حبل في سقف كنيسة مهجورة ..
صحت فيه محققًا :

- (ستافروس) !.. أمرك أن تحرس .. لا تترد الأمور
تعقيداً ..

ثم نظرت إلى الرجال طالباً أن ينطوني على مسار
خطوات القنصة .. وخرجنا في موكب غاضب من الأهالي
ورجال الشرطة ، ونساء (كريك) المولولات دافعاً في
ثيابهن السوداء .. كل هذا يحيط بالقنيتين ..

وفي ضوء الشمس الحارق رأينا خطوات حذاء أثري
تتجه نحو المرتفع .. المرتفع حيث كان الحفر يجري
بالأمس ..

صحت في الرجل وقد فهمت ما جرى :

- هناك من مزق الحبال المحيطة بالفتحة .. لابد أن
الفتاة قد سقطت في البئر إلى دهن الثوب ..!

- إذن هاتوا الحبال ...!

وتنلى أحد الرجال - من ذوي الوزن الخفيف - في
حبل .. وراح ينزلق عليه إلى أسفل بحذر ..

على حين وقفنا نحن بأعلى نرمى الفتحة لمظلمة .
ونرمى رأس الرجل ينزلق بهبطه ليخفى في الظلام ..
ونمر دقيقتان ..

ثم سمعنا صوته ينادي في هلع :

- يا رجل !.. قد وجدت عظامها !..

تصايح الناس في هلع .. وهوى أيوها على ركبتيه
يقرع رأسه بكلية .. وصرخت عجوز وشقت ثيابها ...

هنا صحت في الهدى الجميع :

- صبرا يا إخوان !.. إن هذه العظام موجودة منذ
الأمس .. وهي تعود لتاريخ محيق .. وحتى لو فرضنا

أن الفتاة قد سقطت في البئر .. فما كان لها أن تتحلل بهذه
السرعة !.. إن (يزيبا) في مكان آخر دون شك ..

* بدأ عليهم الاقتتاع . وتلفس بعضهم الصعداء ..

ثم رأيت الرجل تذى كان قد هبط إلى القاع يصعد
متسلقا للحبل ثغية .. وفي حيبه امر ثلاثة عظام نيرينا
إياها ..

قال ربيع الخفر . وهو ينقى بالعظام أرضا :

- لا طيك يا (خريستو) .. ما دمت لم تجد الجثة
ذاتها مهشمة العنق فما زال أمامنا أمل ..

ثم لتفت إلى الرجال أمرا :

- فلتفتش الكتيبة المهجورة .. ونمسخ لشاطئ كنه ..

وأنصرف الرجل جميعا .. في حين تخللت أنا
و (ستافروس) و (باسيلوس) .. كان (ستافروس)

رائعا على ركبته يلفحص عظمة طوية وجدها بين هذه
العظام التي أخرجها الرجل من البئر ..

- هل ثمة شيء يا (ستافروس) ؟

قال وهو يتشمم العظمة .. ويتفحصها في عالية :

- إنها عظمة ساق .. أشعر من رائحتها وشمسها
أثنا طارئة .. لم تجلبها السنون كينفي لعظام ..

ثم نظر في نظرة ذات معنى .. وأرنف :

- إن في خبرة طبية معقولة لا تبنى بدات دراسة الطب
 ولم أستكملها .. هذه العظمة هي قصبة ساق يسرى ..
 ويوجد كسر مابين الالتئام في منتصفها .. (بسيلوس) ..
 لقد كانت (بزيبا) تعرج في سوزها قليلاً .. فأية ساق
 كانت تعرج بها ؟
 بل (بسيلوس) شفتيه بلسانه .. ونظر إلى الألق ..
 وشمع :

- كانت تعرج بساقها اليسرى !!! ..

* * *

٦ - ومزيد من الأشياء ..

فمما بإعادة ربط تحبل حول العنق ، وزدنا عددها
 هذه المرة لتكون سورا حقيقيا يمنع أي شخص من
 الدنو منك ..

لم نخير أحدا بلصتنا لأن احتمال الخطأ وارد ..
 وماده اسم الإنسان لا يكتب حرفاً على عظامه . فنحن
 لا نستطيع أن نقسم إن هذه هي عظام القناة ..

عندنا نستكمل البحث داخل هذا التيه . ونعرف أكثر ..
 أما الآن فننقب لسرى بيلسا .. لأن أول ما سيؤم به
 هؤلاء الأهلئ المحققون . هو أن يظنقوا بحرى السرى
 اسماً شاعرياً مثل (فم الشيطان) .. ثم يحضروا
 الدبشاميت أو الخرسة ليسدو هذا الفم نهائياً . ووضيح
 علينا كل مجهود الذي قمنا به . ونحن نعاود الحفر إلا
 في حماية كتف من الجيش اليوناني وديابشون على
 الأثر ..

تهذا عننا لى قراعتنا سامعين ..

ولى نفس الوقت كلن الرجال يبحثون عن شيء ما
فى جزيرة كلها .. تون جدوى طبعاً ..

* * *

تسألنى - وأنت محق فى هذا - عن السبب الذى
منعنا من سد الحفرة نهائياً .. لقد عرفت فيما بعد مدى
خطئنا ..

لكن ماذا أقول لك ؟

إننا يونانيون .. ونخضع لقواعد الدراما الإغريقية
(الأرسطوطالية) حيث تبطل سير - بإصرار مزعج -
نحو قرده .. وحيث يندره كمن شيء يتمصير المحنوم
تكنه لا يبتلى ..

* * *

عند العصر عاد لرجال خالى لوقاض إلى الخان ..
ورأيت صاحب الخان - لياً (إيزيبا) - يتقدم فى خطوات
متتالفة إلى منتصف قاعة الطعام .. مبهراً مشغفاً ملوفاً
بالعرق .. وقد اختلط شعره بالتراب .. وتمزقت ثيابه ..
لأنه أنه زحف داخل أكثر من كهف .. وتعلق فى أكثر
من سقف .. وغاص فى أكثر من بئر ..

شانت عيذه جمرتين متقنين من نهب ..

ورأيت يلف أمام (باسيلوس) .. بينما هذا الأخير
ما زال يلوك قطعة اللبان فى استعلاء .. ويداه فى جيبه
متحدياً ..

قال صاحب الخان ضاحكاً على أسنانه :

« اسمع يا ابن الشيطان .. ثم أجد نبيلاً على تك
مسئول عن اختفاء ابنتى .. تكفى - والله يعلم ذلك - أعرف
لن تك علاقة بالأمر .. لهذا اعتبر نفسك إسماً ميتاً من
الآن فصاعداً .. »

بلا مبالاة تصاهل (باسيلوس) :

« هذا ممس .. ومضى ؟ »

« حين نقرر لنا .. والآن أخرج من هنا ! .. لا أريد

أن أراك تحت سفك دوى ثانية .. »

وأشار إلى الباب فى حزم ..

لتبشى (باسيلوس) بين الدعاء .. متظاهراً بعدم
اللامبالاة .. وخرج ..

لثت محاولاً تهنية الأمور :

« أى (بلى) .. إن التلى لم يفعل ما نزلنا به فعنه .. »

- لا يبهه .. ما أعرقه هو ان له علاقة ما بالامر ..
قل رئيس الخمر . وهو يصب لنفسه بعض النبيذ ؛
- غذا لو اصل بحثنا .. نحن لم نلتفت فهو الخمر
بعد ..

قل قائل :

- والضحوة المهجوة ..

- ان غذا لتأخره قريب .. أما الآن فقد بدأ الظلام ..

* * *

يا الظلام ..

يا لهذا الحارس الليلي من كلين غريب !.. بعابته
السوداء المنهمة يخطو منحى القامة بين الدروب ..
يطغى هذا لمصباح وذاك .. يلقى عيابه فوق المنعطات
وبين الديار .. يبعثر زهور الغموض والرهبة هنا
وهناك .. يحييه نجوم .. وترق له أجنحة لولويط ..
وتتبع الكلاب .. وتعوى القطط الضالّة ..

إن الظلام هو الملك لمطلق للبلاد .. فالمجد له ..

لكن الظلام لم يتر خوف (لارويديس) ..

إنه يعرف هذه الجزيرة كظهر يده .. ويعرف أنه
ما من شيء يحدث ههنا على الإطلاق . وحتى لو حدث

شيء فهو يحدث للأخرين فقط .. الآخرون لفظ يجرحون
ويصابون ويموتون .. أما هو ..
لحقيقة الآن هي أنه تمل تملنا ..

تند للفرط في احتساء (الأوزو) في لحظة منذ ساعة .
وهو يعرف ما سيحل به حين تعرف امرأته ذلك ..

(نانا) القوية لضخمة سنيطة للثمان .. مستبداً
بالصراخ فيه . ثم تكيل له عدداً من النكتات .. ثم ...
لا يبهه .. فلم تعد ضريتها تؤلمه ..

لمشكلة هي أنه يشعر بساقيه لثنتين كهودين من
(لتكرونة) المسلوقة . أو قالبين من (تيلام) ..

لمشكلة هي أن البيت ملال بعيداً .. بعيداً جداً ..
يمكنه المختصر تمسدة لو سعد هذا المرتفع . ليمر

بموقع الحفر الذي يعمل به كل هؤلاء لمخابيل من
(أثينا) .. والذي يعمل به هو أيضاً .. لكنه لن يعمل به

غداً لأنه بالتأكيد سيظل فلانك الوعى حتى لظهر ..
وسيصحو يصداع لعين .. وسيحسو أقداح عصير الضماطم

محاولاً أن يفيق من تأثير هذا السم ..
شرح يغنى بصوت عل :

- لا يا (ميخائيلوس) .. أنا لن أعود لسماع أحنك
جوار شجرة (تردار) .. لأن ... ١٩١ .

لاهاً يرقى المنحدر .. وتغلب يميل من فيه ..

- .. لأن .. القرية كلها تعرف أمرنا ... و ...

تبتاً ! هذه المسكور تمزق نغويه .. إن أنفاسه لم تعد
تطير ...

- ولأن أبي قات لي .. لا .. ليس (ميخائيلوس) ..

إبه لا يجيد سوى عزف المزمار .. وأمسى ...

هيه ...! هو ذا قد وصل إلى جوار الحفرة التي
حفرها أفس .. والتي حسبوا أن القناسة قد وقعت
فيها ..

- وأمسى قلت لي .. لا .. ليس (ميخائيلوس) .. إبه

لا يملك سوى قلبه القلبي وأراعيه لغويين .. و ...

شيء غريب !.. إن هذه الحفرة تحيطها جبال ممزقة

تكتس من أوتادها .. نعماً يحيط هؤلاء المخبولون

جفرتهم بأصناف حبال ؟ من القريب أيضاً أن .. أن

(*) أغنية من غيتل موشف .. فلا توجد أغنية يونانية بهذا

النصف !

مذاقاً .. لقد نسي .. هي هيه .. إن أفكاره سريعة
تبخر حفاً ..

وبصوت أجنس وأصغر الققاء :

- .. وهائس فانت لي .. لا .. ليس (ميخائيلوس) ..

فهذا لغتي يملك عينين تسهران من تراهما .. لهذا ...

يخيل أنه يسمع صوت خطوات من وراء ظهره ..

خطوات .. وصوت أنفاس لاهثة .. لا .. بل هو

شيء أقرب إلى حوار الثيران ..

- .. لهذا يا (ميخائيلوس) .. لن أعود لسماع

أحنك جوار شجرة (تردار) ..

هذا الشيء تغير الحركة بالتأكيد ..

إبه يدنو منه أكثر فأكثر ..

ولمى التحفة لتتلبه أفس بكف ثقيلة توضع على كتفه ..

صرخ لي هلع .. واستدار ليروى ..

* * *

أنهت (ساريا) غسل ثياب لأسرتها الصغيرة ..

للأسف أن الوقت قليل .. نكنها وثقة من أنه سيحفظ

سريعاً ، لأن الهواء جافاً حاراً .. وهو أنسب لجفاف
ثياب ..

شرعت تغلق الثباب فوق الحبل لئلا يمتد من جدار دارها إلى شجرة البلوط القريبة . ثم إتھا عدت إلى الكوخ لترى ما إذا كانت طفلتها نائمة في سلام ..

إن (ماري) على قدر لا بأس به من الجمال برغم أعمارها الأربعين ، وظفتها قد ورثت عنها ذات الجمال .. نذا يت الصغيرة كملامة تام .. ملاك بل ثيابه الداخلية للأسف ! ..

مزعت عن الطفلة سراويلها واستبدلتها لها ، دون أن توقظها .. ثم رأت أن الوقت مبكر بعد .. ولن يعود زوجها من العانة - ملقى كل رجال البلدة - إلا بعد ساعتين ..

فلماذا لا تنتهز الفرصة وتغسل هذه الثياب في البئر سريعاً ؟ إن البئر قريبة .. والقمر تينة مكنن .. لهذا غمرت الدار مسرعة ، قاصدة البئر التي تقع جوار المرتفعات ..

وعذ هي مشكلة الظموح لزانة .. لقد أنساها هذا الظموح أن تغلق باب الكوخ على طفلتها لتأمنه .. و ..

* * *

كان هذا هو (ميكوس) العجوز خبير لدرك ..
- (لارزيس) أيها السكر .. لمسوف تهشم عطفك يوماً ما في إحدى جولاته الليلية ..

تنفس (لارزيس) التصعداء .. وهو على رأس (ميكوس) يتشها :

- لقد أخفتني أيها العجوز .. إن لأفانك خولوا كخول نور ..

- إيه الربو يا (لارزيس) .. الربو .. هلا عدت لدارك الآن ؟ إن أشياء غريبة تقع في البلدة هذه الأيام .. ويسلو أن هؤلاء الأتبيين أبناء الشياطين قد جلبوا نحسهم في (كيموس) .. هيا .. عد إلى دارك ..

هز (لارزيس) يديه في وجه لندر .. وهتف :
- كنت أترح أيها العجوز .. أترح ..

وعد يقنى في صوت لجش وهو ينزح مبتعداً ..
- لا .. يا (ميخائيلوس) .. لنا أن أعود لسماع لحنك جوار شجرة (لندر) ..

كانت هذه هي الأغنية التي ردها .. كما كنت (ميكوس) في المحضر الرسمي الذي كتبه بعد يوم ..

ولقد آثار هذا الاهتمام بالتفاصيل ضيق رئيس الخمر .
لكنه رأى آلابس من ذكر هذا في المحضر ..
والمؤكد أن (لازاريدس) قد شعر من إيمان الخمر
بعد تلك الليلة ..
شلى إلى الأبد ..

* * *

خيل إلى (ماري) أنها سمعت صوت خطوات .
فقطرت حولها تترى .. ولم يكن هناك شيء ..
عادت لغسل الثياب الداخلية لظفتها في مياه البئر ..
حين خيل إليها أنها تسمع صوت خوار كخوار
الثيران ..
مستحيل هذا .. لابد أنه صوت جريان المياه ..

واصلت غسل الثياب .. حين بدأت تشعر أن الصوت
يزداد ارتفاعاً .. كان القمر يرمى أمامها في مياه البئر ..
ومعه وجهها الوسيم .. وفي كل لحظة تهتز الصورة
وتتزوج .. تنكرت - بالتاكيد - قصة الفتى (نركيسوس)
لذي عشق صورته في الماء . وحسب أنها عروس بحر
حسان . فكلما حاول أن يلثمها تشوش الماء .. وغابت

الصورة عن نظريه .. وفي النهاية نحر الفتى المطعون
في حبه جوار ضفة النهر . ومن جنته نمت أزهار
ترجمس (*) .

إن وجهها هو أقرب إلى وجه عروس بحر حسان .
ترعفتها من تحت الماء في وله والفتان ..
لكنها لاحظت شيئاً آخر بطن من فوق كشف عروس
البحر في الماء .. ثم تذكرت أن هذا الشيء هو بالتاكيد
يلف خلفها في .. !
ثم تبين ما هو ..
لكنها عندما تبينته عرفت أنه رأس .. رأس شيء ما ..
شيء يلف خلفها الآن .. ويصدر أصوات
غريبة ..

* * *

وحين مر (لازاريدس) قرب البئر ..
لابد أنه رأى مشهداً مروعاً .. مشهداً لم يستطع فهمه
من اللحظة الأولى .. لكنه في ضوء القمر يبدو واضحاً
بغير حاجة إلى مزيد من الإضاءة ... وطاردت الخمر من
رأسه فوراً ..

(*) هذا هو أصل كلمة (ترجمية) أي العاشق لأخته ..



وَادِ سَفَطِ اَرْضًا .. لَا يَدُ اَنَّهُ رَأَى الشَّيْءَ يَدْتُو مِنْهُ ..

لَا يَدُ اَنَّهُ صَرَخَ .. لَا يَدُ اَنَّهُ جَرَى ..
وَقَدَّاءُ تَوَقَّلَ وَهُوَ يَشْعُرُ بِخَلْقَتِ قَبْلِهِ تَتَسَارَعُ وَتَتَسَارَعُ ،
حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ اِتِّحَاكُمَ فِيهَا ..
اَلَمْ مَعْصُومًا يَفْزُو صَعْرَهُ .. وَحَتَّى اَسْوَدَ يَهْبِطُ اَسْلَمَ
عَيْنِيهِ ..
وَادِ سَفَطِ اَرْضًا .. لَا يَدُ اَنَّهُ رَأَى الشَّيْءَ يَدْتُو مِنْهُ ..

★ . ★ . ★

٧ - أسطورة المينوتور ..

لقد عم غضب أبلا .. وجاحت العواصف في أرجاء
المعصورة .. ومن بين الغيوم هطل سيل غضب عتق ..
هكذا كان (هوميروس) أو (سوفوكليس) سيصفان
رد الفعل لندى اجتاح أرجاء (كنيوس) ، حين صحا
ناس ليجدوا ملستين في جزيرتهم الهائلة ..

(لازريوس) العجوز وجعده ملقى على الأرض قرب
البنر ، وعلى وجهه أعلى أسرات لزعب ..
أما (مازيا) فقد عاد زوجها ليجد طفله تبكي وحيدة
في الكوخ .. وراح - مسعورا - يبحث عنها في كل
صوب ..

وقى الصباح وجد ثيابا معرقة قرب البئر .. وقطرات
دم .. ثم لاشئ يبذل على مكان زوجته .. لكن الثياب
ثيلها حتماً .. والثياب الملقاة على حافة البئر هي سرور
داخلي لطفله . واضح أن الأم تمسك كانت نفسنه
حين .. حين ماذا ؟

لا أحد يرى ..

* * *

في دار العمدة جلس عمرة رجال حول منضدة .
يخسبون القهوة ويذخون . وقد بدت عليهم لغرات
الجديّة ..

كنت أنا بين هؤلاء الرجال .. و (يترى) صاحب
الطن .. و (ستاروس) و (باسينوس) .. والعمدة
نفسه بيده وصلته لميزة - وشابه القصر المضحك ..

وخرج ندار وقتل خمسون رجلاً هانجا ، عازمين
على تعطيد أو شراء في أية لحظة لأي سبب .. فقط
لأنهم فرصة الانفجار .. إن الإنجليزية تحووا لفظة
هي panic لا تمنك مثلها في اليونانية ، ولا أرى إن
كان مثلها في العربية .. إنها تعبر بصدق عن الهلع
الجماعي للمصحوب بتفلات أعصاب ، مع عجز تام عن
التفعل ..

وهن كهذا هو ما يجعل رواد مسرح يتدافعون نحو
الباب إذا رأوا دخانا أو شموا شيئاً .. غير عابئين
بتهديم بعضهم البعض تحت الأقدام ، أو سحقاً فوق
الجدران ..

ولفظة panic هي خير تعبير عن حالة الغموم في هذا
اليوم ..

وفي الدخول كنا نكثر هموعا .. وكنت لنا نقول في
تعجب :

- هكذا ترى يا عمدة لنا في مازق .. وأرجو أول
ما أرجو أن تعيد الاعتبار إلى مساعدي (باميلوس)
هاتف العمدة في تبسط :

- طبعاً .. طبعاً .. أعتقد أن (بيني) لم يعد يحمل
ضغينة ما

ينتم (بيني) لبسامة صفراء .. ولم يقر شيئاً ..
أضحت وأنا أشعل غيولي ..

- نحن الآن والقول أن هذا الشيء الذي يحتاج لقرية
وكثافتنا أرواح ثلاثة لبرياء .. بما جاء من الحفرة ..
جاء من القبو الذي وجدناه بالأمس .. والدليل على هذا
هو تمزق الحبال التي أحطنا بها للتحفة أمس .. للمرة
الثانية التمزق ... وأنا نست ميلاً إلى أن هذا عيب
عابث .. فلا سبب يدعو شخصاً عاقلاً لتمزيق حبال تحيط
ببئر .. إن الشيء هو الذي مزق حبال .. وأثناء اجزأ
أنه كان يحمل ضحيته إلى البئر عائداً في كل مرة ..

ومددت يدي إلى نفافة من ورق أحملها .. وكنت :
- هوذا الدليل على كلامي .. هذه العظمة أثرت لنتيابة
(ستافروس) .. أمس .. وأعتقد أنه مصيب ..

ورفعتها ليروها .. وباتطبع تحاشيت ذكر أسماء ..
لأن هناك احتمالاً لا يلبس به في أن يكون (باني) هو
أبو صاحبة العظمة !

- كما ترون .. هذه العظمة طازجة .. نخاعها أحمر ..
ويخيل لي أنها تخص إحدى ضحايا الشرس .. وقد
وجدناها في الحفرة ..

ساد الصمت هنيهة ..
بعد لحظات تساءل أحد الرجال :

- ولماذا لم يمس هذا الشيء (لازاريديس) ؟ ..
- لأنه كان قد مات .. وهذا ما نغفله الذبابة حين تجد
جثة .. فتتشممها .. ثم تنصرف عنها في فتور ..

مرة أخرى عاد الصمت ..
وإن كنت قدراً على سماع التحكك الشديد في أذهان
الجالسين ، وإن تعد لنا سبهم ..

بعد قليل همس العمدة :
- أرى أن الجميع يشاركني الرأي في وجوب سد
الحفرة ..

قلت في احباط :

- لكن كشفنا بهذا لا يمكن أن يفتن ..

- إن الخطر يفوق الفائدة المرجوة .. وعلى كل حال
يمكنكم دافعاً أن تعودوا مع حشد من عسكريين (لينا) ،
لتفتيش الدهليز .. ومحاصرته .. وتعشيته ..

* * *

هنا لسائل (ستافروس) وهو يضع القدح على

العضدة :

- ترى هل مازلت تؤمن بوجود (المينوتور)

بأبروسور ؟

تصايح الرجال بالكلمة في دهشة ..

فكلهم سمعوا هذه الأسطورة منذ نعومة أظفارهم ..
و (كريت) كلها تعيش في هذا الجو منذ الفجر وحتى
غروب الشمس ..

- (مينوتور) ؟ (مينوتور) ؟

قلت أنا محاولاً أن أبدو عقلانياً بارداً :

- هذا مجرد فرض .. (اللابيرنت) به وحش ..

فماذا عساه يكون هذا الوحش سوى (المينوتور) ؟ ..

ابتسم العدة في تهكم مهذب ..

على حين قلنا (باني) وهو يتزح لبيرييه من على
رأسه :

- لو فرضنا هذا جسداً .. فالأسطورة ذاتها تقول إن
(ثينيوس) قتله .. فكيف علا للحياة ؟

- أنا أقترض ولا أمك أدلة .. لكن لماذا لا نفرض أن
ملك (ميناوس) أذاع هذا ليتهيأ حربه مع (لينا) ،
وبلق ماء وجهه من إلفانه لخدمة سنوية كانت توارى
ضميته ؟

لماذا لا نفرض أن (ثينيوس) كاذب ؟ بل لماذا
لا نفرض أن (ثينيوس) شخص افتراضي ، ولم يكن له
وجود ؟

قال العدة ملوحاً بكفيه :

- ليكن .. ليكن .. نحن لن نضيع الوقت في افتراضات
لا جدوى منها .. ليكن ما بالقبو هو (المينوتور) أو
حماشي لا يهم .. المهم أن هناك وحشاً مفترساً يجب
منعه من الخروج ..

ثم لصدر أوامره إلى رجنين جالسين ، بدت عضلاتهما
المفتونة في المساعدة والتكفين العريضين ..

- (سبيروس) و (كوستا) .. عليكما أن تصحبا
الرجال إلى البئر .. وتقوموا بما يلزم لسد هذه الفتحة ..

- ليكن .. سادعها بالحدود ، ثم تصب فوقها طبقة
من الأسمنت .. وبعدها تهيل التراب عليها .. وترويه ..
- على بركة الله ..
فقد يك المساء يجيء ، حتى أختفت الفتحة تماما ..
ولم يعد بسيرا تلتوي عليها حتى يلتصبة لنا ..
إله قرار صائب حقا ..

* * *

نعم .. هو قرار صائب بالنسبة لـ (نيقوس) .. ولن
يتراجع عنه ..
كان الجميع يتولون إله مشاعب ، ويقولون إله مونغ
بالتحدي وروح القتال ..
وقد كان كذلك ..

إن أحواله العشرة تغري من هم أكسر بالسخرية
منه .. وتطلعا حاول أن يتفوق على من كانوا أكبر منه
سنا .. يستعمل لفظا أكثر بذاءة من ألقابهم .. حفظ نكتا
لوقح من نكاتهم .. تعلم نخطين التبغ منهم .. تشاجر
مرارا على غرارهم ..

لكنهم لم يبلود قط بينهم .. دائما كان بالنسبة لهم
(ذلك القرير) .. ولطالما سخر منه (فرانجوليس)

- أو (فرنجو) كما يسمونه - لأن صوته رفيع كالفتيات
وتلقه ناعمة لا تكسوها تلك الخشونة لسوء المعجبة
في ذقون هؤلاء ..
كان يحذأ أحيانا .. لكن بعض الحماة كانت تلقى به
أرضا فوق الغبار ، يكثر كرامته الجريحة أكثر من بكته
ألما ..

وايوم قال له (فرانجوليس) ، وهو يمسك
بتلابيه :

- اصغ لما أقول يا (ليلي) .. وإلا فتحت كرشك ..
كان النصل الحاد للمطواة الصندنة ينغرس في لحم
بطنه .. وكان يعرف أن (فرانجو) لن يجرد على
(فتح كرشه) ؛ لكن الشعور كان كريها وغير مريح
بالتأكيد ..

- أنت تزعم أنك رجل .. أليس كذلك ؟ ..
قال بعده :

- بلى .. رجل ..

- إن .. ستريني ذلك ..

وفاده مع عصابة الفتيان المراهقين إلى المرتفع .. قرب
مسلح العفريات التي كان يمارسها الرجل من (أتينا) ..

ورأى (نيقوس) حفرة في الأرض .. حولها تراب
متكرم ومعول ..

- تريد منك أن تهبط في هذه الحفرة ! ..

قال واحد آخر وهو يشعل لثلاثة تبغ .. (عقب للمافة
في الواقع) :

- نحن حفرتنا هذه الحفرة .. إن شيئاً مروعاً يحدث
بهذا المكان .. ولقد ردموا اليوم الحفرة التي صنعها
الأتينيون .. لكننا لصطنعنا هذه .. وستكون هي اختبار
شجاعتك ..

ونظر (فرانجوليس) إلى عينيه .. وهتف :

- هل تجرؤ على النزول يا (ليني) ؟

- ولم لا ؟

قالها بتحد كعادته .. فتبادل (فرانجوليس) نظرات
السخرية مع من حوله ، وهو يذوق عوداً من الثقب
بين أسنانه ..

إن زعامة هذا الطراز من المراهقين تكون للأكثر
قدرة على إيذاء الآخرين .. والأكثر سادية .. والأكثر
بذاءة ..

وكان (فرانجوليس) يعرف أنه لكي يحقق بزمته :
عليه أن يحافظ على درجة معينة من السلبية والبذاءة ..
والقسوة ..

لذا قال للصبي :

- ليس الآن يا (ليني) .. بل ليلاً ! ..

قال واحد من العصابة :

- لا تقم عن الأسمه يا (فرانجو) .. أنت تعلم أنه
لا يجرؤ ! ..

قال (فرانجو) في لهجة رحيمة :

- حقا يا شباب .. وهذا مؤسف .. إن هؤلاء الأطفال ...
وهنا كان طبيعياً أن يشور الصبي ، وقد لعبوا على
الوتر الحساس المضمون .. صعد لدم إلى رأسه وأزمع
أن يقول لعبتهم الخطرة دون مناقشة ..

- ليكن يا (فرانجو) .. لتبلة عند متصلها ..

- هذا ولد شجاع ..

* * *

وما نحن أولاء نرى (نيقوس) وقد عقد أمره على
قبول التحدي .. كان خائفاً .. تكن كبرياء الأطفال كانت
أقوى من خوفه ..

ها هوذا يدنو من البئر الجديدة التي حفرها هؤلاء ..
فيوجد - في الظلام - (فرانسوا) وثلاثة آخرين
ينتظرونه .. ونلونه الأول شمعة .. وأشعل فتيلها .. ثم
غمغم :

" ستقضي ربع ساعة هناك .. بعدها تخرج .. وستكون
بالتفكير لك لتحن أنك حقاً رجل ..

تتاول لتصبى الشمعة دون كلمة ..

ثم توجه إلى فتحة البئر ، حيث كان حبل غمغم ربطه
المرافقون في شجرة قريبة .. وبدأ يتكلى إلى أسفل
ممسكاً الشمعة بيد .. والحبل بيد أخرى ..

وتم يكن الارتفاع كبيراً .. خمسة أمتار لا أكثر ..

وسالت قطرة من الشمع الساخن على كفه .. فهزها
ليخطف من الحرق الذي شعر به .. لعق يده .. ثم تكلى
عن الحبل ..

ونظر لأعلى ليرى .. فوجد الحبل يرتكس .. ثم يسقط
من أعلى ليكوم على الأرض جواره كشمع ميت ..
وفي اللحظة التالية رأى وجه (فرانسوا) يطل من
أعلى :

- حظاً سعيداً مع الأسياب يا (تيبسي) ...! .. سنعود لك
في الصباح لنراك .. هو هو هو .. أو لنرى ما تلبس
منك .. هو هو هو ! ..

ودرت عدة (هو هو هو) من لتلاتة الواقفين حوله ..
وعندئذ فقط تذكر (تيبسي) أنه مزال طفلاً ..
طفلاً وحيداً في الظلام ...

* * *

٨ - الوحش بيننا ..

للخاطر الأول هو وضع الشمعة على الأرض وتثبيتها ؛
للخاطر الثاني هو تسلق لجدار للخروج من الحفرة ..
نظر (نيقوس) إلى أعلى ..
المشكلة هي أن الفتحة في منتصف السقف ، وليست
جوار لجدار ، وبالتالي عليه أن يتسلق لأعلى .. ثم
يمشي على للسقف كتهابه حتى يصل إلى للفتحة ..
ويخرج جسده منها ..
لما محاولة قذف الحبل لأعلى ففاشلة حتمًا ؛ لأن
الحبل لن يجد ما يتعلق به ..
وهنا - على ضوء لشمعة لتراقص - رأى قطعة
حجر بارزة من الجدار قرب السقف ..
سيكون عليه إذن أن يقذف حبله ليلتف حول هذا
الحجر .. ثم يتسلقه إلى أعلى .. وحين يصل إلى
مستوى الحجر ربما أمكنه أن يعيد قذف الحبل إلى حالة
الحفرة .. وربما أمكنه أن يصل إليها ..

مأ يده يصنع لشوطة من الحبل ..
وفي حذر كرم الحبل .. ورماد إلى أعلى ..
فشل مرتين .. وفي للمرة الثالثة التفت الحبل
بشهوطة حول الحجر البارز .. جذبته ليتأكد من أنه
سيتمكن ثلثه ..
ثم بدأ يتسلق ..
كان يرتجف كورقة .. ونموح الخوف تبلبل عينيه ..
تكفه كان يعرف أن عليه ألا يبقى بهذا النفق لحظة
أخرى ..
فلم يمتعه الذعر من القيام بعمل إيجابي ..
الأوغاد .. الأذال .. حين يخرج من هنا سيمزقهم
بديه .. وتسوف يعرفون من هو (نيقوس) حقًا ..
سيتشب أمثاله في عنق (لمراتجو) ويتزعزع حجرتة
وسط طلع الآخرين .. وصراخهم ..
وغدًا يأخذونه وسط طلع الآخرين .. وصراخهم ..
وغدًا يأخذونه إلى المخفر .. وهناك سيقف أمام
رئيس المخفر واتم يسيل من شعره ويبلل ثيابه ..
ولسوف يسأله (ميكوس) لتعجز عن سر قتله
لأولئك المراهقين الأربعة .. فيقول في متن :

- لقد استغرقتني أيها العجوز .. استغرقتني ! ..
عندئذ يهيقه (ميكوس) حتى تبدى أسنانه لظنيرة ..
ويبصق .. ويقول :

- كان هذا جيدا يا فتى .. ان أولاد الأقاصي هؤلاء
يستحقون ما هو أكثر .. هي هي هي .. !

ومع ضحك العجوز يضحك (نيقوس) .. يضحك ..
يضحك وهو يواصل تسلق الحبل إلى أعلى .. وقد عاد
إلى أرض لواقع .. ويتألم لتخطوط عثر الجدار التي كتبها
أشخاص مجهولون من قبل .. ويرى علامات عدة ..
كان قد وصل إلى مستوى السقف .. ومن هناك يفكر
في طريقة للزحف ألقيا حتى يصل إلى الفتحة ..

رفع جسده ليمسك الصخرة البارزة .. وأحاطها بفتحيه
كأنها صهوة حصان .. ثم فك العين من حول الصخرة ..
وتهايا لقلبه تجاه فتحة البئر .. حين سمع لصرخة ..

* * *

تري من تألموا ..؟ .. إذا لم يكونوا قد تألموا فلماذا
صرخوا ؟

من قصة (رأس ميدوسا) ..

التقيب السادس

* * *



وفي المرة الثالثة تلف الحبل بأشواطه حول الحجر
لبارز .. جذبه ليتأكد من أنه سيعمل لقله ..

في اللحظة التالية ظلمت الفتحة ..

لم يعد يرى ضوء القمر المنع من خلالها ..

وأيقن أن شيئاً ما يسد الفتحة من أعلى ..

ولمى لتحفظه التفتية لذلك ، سنع حواراً وحشياً ..

واستطاع أن يتبين شيئاً ما ينقى من أعلى .. شيئاً

تقبلاً هوى كتهجر ليصطدم بالأرض ..

ثم شيئاً آخر .. أما الشيء الثالث فكان يصدر شيئاً

متوسلاً ..

وسرعان ما هوى إلى أرض الحفرة .. وهضمت

حركته ..

لقد انطقت الشمعة حين هوى فوقها الجسد الأول ..

بعد هذا هوى جسم رابع ليُلحق بالأجسام السابقة ..

عجز (نيقوس) عن فهم ما يحدث ..

لكن غريزته - الشبيهة بغريزة القطط - فأنك له ألا يصدر

صوتاً .. ولن يظن حيث هو دون حراك ..

ثم لمس أن جسماً هائلاً يتساق داخل إلى الحفرة ..

أثماً من الخارج وكان الظلام داساً لكن (نيقوس)

أدرك أن هذا الشيء يفوق كل كوابيسه فتقاعه ..

وتصلب جسده والنصق بالجدار أكثر . وحبس

أنفاسه ..

وأدرك أن هذا الشيء ينحدر ببضء من الفتحة إلى

الجدار المجاور . بخفة وسلاسة ودون مراعاة لقواعد

الجاذبية .. كأنه عنكبوت ضخم ..

عنكبوت ؟

لا .. فهذا الشيء يملك يدين وقدمين كالبشر .. لكن

قامته فارعة تقارب الأربعة أمتار . ورأسه عملاق

لا يمت بصلته لرعوس البشر ..

وقبما بدأ وصفه (نيقوس) بأنه أقرب إلى رعوس

العنكبوتية ؟

ولتمع ضوء القمر ليرى الصبي الأجسام المتقاة على

أرض لظبو ..

عندئذ أدرك أنها أجسام المراهقين الأربعة الذين

رغمه هاهنا ..

وقد بدأ من أوضاع رقابهم . ومن انثناء أطرافهم

أنهم لم يعوبوا يمتون بصلته لعالمنا ..

إن هذا الشيء الذي قتلهم يهبط الجدار الآن على بعد

أمتار منه .. مصدرًا حواراً ولهاثاً مريعين ! .. !

ومن (تيلوس) يده في لفة . وعض عليها بقوة
حتى يمنع الصرخة التي تريد أن تخرج .. وأحسن بدم
سطلن يسيل على ذقنه من جراء العضة .. لكنه لم
يشعر ألماً ..

هوذا لشراء يهبط إلى القاع ..

وفي ضوء القمر تضللت البارد - راء (نيقوس)
يكوم الجثث الأربع فوق نراعيه - جثتين على كل ذراع -
ثم يمشي متفلاً عبر القلق وهو يصدر زفيراً مريعاً ..
وبعد لحظات تلتقي لشراء .. وخبث الضوضاء ،
وعاد النقر ..

كان هذا أكثر مما يستطيع الصبي أن يحتمله .

ويبد مرتجفة قذاف الحبل نحو الفتحة ..

الثلاث الأشوطة حول طرف صخرة يبرز من جدرانها
وباليد الأخرى أحكم ربط الحبل حول الصخرة التي يجلس
عليها ..

قبحه يوشك أن يتوقف ذعراً ..

لكنه لن يفقد الوعي .. ليس هنا ..

مذ بده وتشبث بالحبل .. ودعا الله أن يكون الحبل
مماسكاً .. فهو لا يريد أن يسقط مثلياً في هذا الفضاء
الكريه ..

راح يزحف كسودة فوق الحبل .. ممسكاً بيديه
وساقيه ..

وأخيراً دنا من الفتحة .. لمسها بأمانه ..

فكوز جسده ليخرج منها ..

وفي اللحظة التالية كان في العراء .. يشم هواء الليل

الذي عطره القمر .. ويتنفس لتصفاء ..

لكنه لم ينتظر أكثر ..

سارع بالركض مبتعداً عن هذا المكان الترهيب ..

قرع الصبي من سرد الفضة بالتفصيل على مسمعى ،
ومسمع الععدة ، ورجل لشريطة .. ثم راح يرتجف
ولا ألومه على ذلك لحظة ..

قلت وأنا لريت على كتفه :

- لا عليك يا بني .. أنت في أمان الآن ..

سألني الععدة عن رأيي فيما حدث .. فقلت :

- الأمر واضح .. لقد رأى الصبي (تيمينوتور) ..

كان الغلمان ينتظرون بجوار الحفرة حين لمجاهم لروحش

من الخلف .. ولابد أنه غادر الحفرة قبل وصولهم ..

كان يبحث عن فرساة لم يجد .. وحين عاد إلى الحفرة

وجدتهم ينظرون .. قتلهم .. ثم ألقى بجثثهم إلى البحر ..
ريثما يهبذ هو لأفسر ويحمنهم إلى حيث يفترسهم ..
- يا للهول !

- نعم .. لقد دفع هؤلاء الغفلة ثمن قسوتهم غالياً ..
- ونجا (نيلوس) بمعجزة ..

تساعل رئيس الخفر وهو يرسم الصليب :

- ماذا عسانا فاعلون ؟ .. هل نهبط إلى آتية لتفتشه
حاملين مشاعلتنا ؟

قلت في سرودي :

- لا جدوى من ذلك .. فالغفلة هنكوا دون شك . ثم
إن الهبوط إلى آتية فتحدار حقيقي ..

- إن ماذا ترى ؟

- أرى أن نسد هذه الحفرة أيضاً ..

- ولو نبشها علبت آخر ؟

- يجب أن تعرف كن (كنسوس) بالقصة .. يجب أن
يعرف كل لقوم أن هنالك وحشاً مريعاً يعيش تحت
أقدامهم .. ولن ما يوصله لنا هو طبقة الأرض التي
نقف فوقها .. إن الأمر لا يحتمل المزاح ..

نهض وليس الخفر .. ووضع بندقيته على كتفه :

- سوف آخذ الرجال إلى هناك حالا .. ونسد الحفرة
على ضوء المشاعل ..
قلل العدة راضياً :

- حقاً تقول .. إن هؤلاء الرجال ثلثون إلى حدا أنه
لا بد من إبتاهكم بعمل ما يستنزف طاقاتهم العدولية ..
وقد كان ..

★ ★ ★

مسرحة الأحداث كان رهيباً ..

ولقد وجد الرجال مطوأة (فرالجوليمس) الصلبة ..
وأعقاب سجاد عديدة .. وحذاءين .. ويقع نم ..

يبنو أن تصببة كانوا جالسين على بعد عشرة أمتار
من الحفرة . يدخلون ويتمازحون .. حين وجدوا
(الميلوتور) يخرج لهم من وراء الأشجار ..

ولا بد أنهم لم يجدوا الوقت الكافي للقرار ..

وعلى ضوء المشاعل راح الرجال يمارسون مهمتهم
الحزينة .. يستنون الحفرة كأنهم يهيولون التراب فوق أقدام
الفتيان الأربعة ..

وحين انتهوا رحلت المجموعة لحزينة في صمت ..
بقعة من نور تغيب تدريجياً في قلب الظلام ..

★ ★ ★

- صمت مساءً يا هيلين) ..

- مساءً .. !

قائلها ، ودست إبرة الحكاية في أنفها تزين حكمة ما ..
جلست على الأريكة العتيقة بجوار الفراش ، ورحلت
شارد للذهن أجترأ أحداث لشهار الزهيب ، والألمسية الأكثر
رهبة ..

- لمزلت لطفة ناعمة ؟

قلت في فتور دون أن تنظر إلي :

- إنها لثلاثة بعد منتصف الليل ..

وابتسمت في مرارة .. وازدقت :

- إنك تزيد ساعات غيابك ساعة كل يوم .. ومأذا قد

صرت جزءاً من هذا المقعد ..

ثم رد أن أمانك أكثر .. فأسمعت غنيوني ورحلت

سألني على مقعد خشبي صغير .. بعد دقائق قلت :

- صدقيني .. إنني لا ألهو ولا أعاقر للشراب في

الحدثة .. إن العمل يمتصني إلى حد لا يصدق .. وهذه

الأيام بالذات توجد ...

- ومنذ متى لم يمتصك العمل ؟!

أصاحت كمن توشك على البكاء .. وأردفت وهي تلقى

ما تحوكة على الفراش عند قدمي الطفلة الغالية :

- منذ تزوجنا وأنا لا أتمكن في حياتك سوى ركن

صغير جداً .. تتكرر كلما عدت لندرك منها .. أنت

تعود لي لمجرد أنك لا تجد مكاناً آخر تقضى فيه الليل ..

سيان عندك غسيت قمصاتك أم تم غسلها .. طهوت أو

لم أطه .. ثمت أو صحوت ..

ولكنت عيناها بخشونة رقيقة من دموع :

- في البدء كلفت عن منحى ما أريد من حبة ..

والآن كلفت عن طلب أي شيء مني .. ولو كان حسين

جورب متسخ .. هيلما تزوجتكم يا (ديمترىوس)

- برغم فارق السن - ظننت أني سأجد فيك حنان الآباء

وحكمة تفلاسفة وذكاء العلماء .. أما اليوم ...

وابتلعت ريقها :

- .. فلا أجد فيك أي شيء على الإطلاق ..

ودون كلمة أخرى نهضت بسرعة ، وفتحت باب

الغرفة .. خارجة إلى العمشى .. هزعت ثغف عند النافذة

التي في نهايته ترمق الليل المظلم الصامت بالخارج ..

جلست أنا أرقى (ميليسا) تغافية كالملاكمة ..

لماذا يموت الحب يا ملاكي الصغير ؟ لماذا تحبو تلك

الجمرة المقدسة للتصبر لماذا برغم لهيبها الذي أحرقنا

يوماً ؟ متى وكيف كلفت عن الاهتمام به (هيلين) ؟

رجل في سني وفجس ووهن صحتي كان - لايد -
لسعد الناس بزوجة شابة حسناء مطيعة كهذه .. لكني
لمت سعيدة ولا حزينا .. بل أن لا الأمل وجودها على
الإطلاق كما قالت هي ..

وكما قلت هي .. يبدأ فقدان الحب بأن تكف عن
العطاء .. بعدها تكف عن الأخذ .

لقد وهبت حياتي كلها لعمل فم أعد أرى سواء ..
والكارثة هي أنني لم أحقق شيئا على الإطلاق ..
وحتى (اللابيرنت) الذي ظفرت به أسفر عن كارثة ..
كارثة يستحيل الإفادة منها بحال ...

حتى أنني ...

إنها تصرخ !

(هيلين) تصرخ صرخة مروعة كأنما هناك من
يفترع أشدها ..

هرعت كالمسوع خارجا من الغرفة لانتقاها ..

فبذا بها تصطم بي - وهي عائدة إلى الغرفة بدورها ..
وارتمت في أحضاني تلتعب ، وترتجف .. وهي في
حالة هستيرية غير مسبوقة .. ومن قهها تخرج أملاء
كلمات ..



هرعت كالمسوع خارجا من الغرفة لانتقاها ..

أخيراً أفهم كلماتها :

- إنه .. ختف النافذة :

- من ؟ .. من هو !؟

- لا .. لا لأرى ..

ثم ضلقت عينها .. وهنست .

- كان يرمقني من وراء الزجاج .. رأس كركس شور ؟

.....

* * *

٩ - يجب أن تنزل التيه ..

- مستحيل يا (هيلين) .. يوجد شيء واحد يجعل
هذا الوصف ، وهو الآن حبيس التيه تحت الأرض ..
- لكنني أقسم إنني رأيتك ..

وكان خمسة من ساكني الخان قد التقوا حولنا ..
ورأيت (ياسيلوس) بفائلته الداخلية يقف ممسكاً
ببنديقة .. و (ديمتريوس) بعنامة مزركشة وقد بدت
عليه علامات النعاس ..

ثم ظهر صاحب الخان (بتي) حاملاً تبديقة أخرى :

- أن تنتهي هذه الليلة للبعثة ؟

قلت له وأنا أطوق زوجتي بذراعي :

- إنها تقن أنها رأت (المينوتور) يرمقها من وراء

الزجاج ..

- مستحيل .. إنه مسجين الآن !

- هذا ما قلته ..

- وهل زوجتك تعرف القصة ؟

استدار نحو الواقفين ، وهتف كته بقود أغناماً ضالة
إلى راعيها :

- هيا يا (جدعان) .. لاداعى للتوتر .. لقد رأت
السيدة كابومنا ..

وتفرق تجمع ..

كدت أعود مع (هيلين) إلى عرقنا .. لكن لرجل
نادى ، فدنوت منه .. وإذا به يقرب فسه من أنسى
هامساً :

- أتراك أغلقنا الفتحة بينما الوحش خارجها !!

* * *

كل تسالوا في محله ..

وفي الصباح حين عرفت أن أحد رجال الحفر قد الحفى ،
شاركاً بتفكيره مهشمة إلى نصفين .. عندئذ فهمت مدى
أهمية السزال .. وعرفنا أن (المينوتور) حرّ ظليق فى
(كنسوس) .. وعاجز عن العودة إلى التيه ..

ولقد قضينا اتهلر كله نمشط للمنطقة دون جدوى ..
بحثنا فى المرتفعات .. وفى مخزن الفلال .. وتطاحونة ..
والكنيسة المهجورة .. لكن سدى ..

وفى النهاية عدنا إلى موقع الحفر الأول .. وكان ذلك
عصراً .. فعرفنا أن هذله من حفر المكان مستصلاً الصخور
الحادة ومخاليه .. وجرف طبقات القبار والأسمنت .. ثم
اترع الحديد الذى ظلوا به الفتحة ..

لم نحسج لذكاء كثير من تعرف من اللاعل ..

لقد عاد الوحش إلى بيته من جديد ..

وأمام الفتحة تساءل (ستافروس) فى حيرة :

- هل سئست هذه أيضاً ؟ إن هذا الوحش يتعب الشطرنج

معا ..

قال صاحب الخان وهو يلحنى ليتفحص فتحة البئر :

- ربما لو سدناها .. يتضح لنا أنه غابرها منذ

دقائق ..!

قال (باسيلوس) للمرة الأولى بعدما استعاد ثقته

بنفسه :

- ولو لم نسدّها .. نكون قد تركنا باب الجحيم موارياً ..

- إذن الحلّ هو نزول التيه !

وتلقت عدة عيون مسألة فوق وجه لرجل .. حتى

لم يعد فوق وجهه مكان لعين أخرى ..!

وتساءل (ستافروس) فى حيرة :

- لكن هذا انتحار حقيقي ..

كنت أما وقد رفعت لى الفكرة :

- بالعكس .. أرى أن هذا هو الحل الأمثل بدلاً من

لعبة لعبة الحظر هذه مع (المينوتور) ..

ثم إني رفعت يدي صراحة :

- سلكون أنا الأول يا رفقى .. ولسوف أهبط إلى

الوحش في عقر داره .. لكننى لن أستطيع شيئاً وحدى ..

رفع صاحب الخان يده هو الآخر :

- أما معك .. فلو أن هذا الشيء قس (إيزيبا) ...

- لا بأس .. وأنت يا (ستافروس) ؟

نظر لى (ستافروس) فى سراخ .. ثم هز رأسه

موافقاً ..

- وماذا عنك يا (باسيلوس) ؟

بدأ الشرود للحظة على وجه (باسيلوس) للقسيم ..

وتنظر لى ثم إني (يتى) صاحب الحانة .. وغمغم بعد

هنيهة :

- لا .. لن أتى معكم !

نظر الرجال إليه فى انبراء .. وتمتد أحدهم شيئاً

ما عن الرأس الجميل لختلى من الشجاعة ... وإن كنت

أختلف معهم فى هذا .. فالشعور لعالم الجوارف هنا هو

النزول إلى التيه .. وليس من لشجاعة فى هذه اللحظة لى

تقول (مسأزل) .. بل الشجاعة أن تقول (لن نزل) ! ..

إن احتمالات فتك (المينوتور) بك تحتل امتقاشة ..

لما احتمالات فتك الرجل الثقلين بك ففوية جداً ..

كنت محولاً لتطيف لحو :

- لا بأس .. لن يكون هناك أى إرغام ..

ثم ناظرأ نحو حشد الرجال :

- هل من آخر ؟

رفع (ميكوس) لعجوز حارس الخربك يده .. وسعل ..

ثم قال :

- وأنا معكم ! ..

- آنت يا (ميكوس) ؟ إن لك شئنا غير هذا ..

ولأأخل صحتك نتحمل أن ...

قال وهو ينفأ لخالفة تبغ ويعلق طرفها بسدته ليلصقه :

- فى سننى هذه يسهل أن يجدونى ميتاً فى الصباح ..

إما بسبب نوبة قلبية أو أزمة ربوية أو نزف فى الدماغ ..

لن يكون هناك فارق كبير لو وجدونى ميتاً بسبب

(المينوتور) ..

عدت أرمي الرجال باحثاً عن متفوخ جديد ..

لكنهم تحاشوا نظراتي ..

وعرفت أن ثورة الحمار قد انتهت . وعاد الذعر المتوجس .. ولن كل واحد منهم يتغنى لو تم أنظر إليه متسائلاً .. من ثم وفرت عليهم هذا العشاء . وقتت في حزم :

- هذا يكفي يا رجال .. سنكون أربعة .. ولحسب هذا كافيًا ..

ثم نظرت نحو (ستافروس) وظلمت منه أن يعد لنا :

- ١ - عدة كشافات بحالة جيدة .
- ٢ - بعض أطعمة ومشروبات .
- ٣ - مذاق لنا جميعاً ، وبعض أسلحة ديناميت .
- ٤ - طيشور وحبال وبوصلة .

ثم فارتهم لأودع زوجتي .. على أن تبدأ التحرك خلال ربع إلى نصف ساعة ..

وفي غرفتي شرعت أعد حقيبتي .. ورفعت (ميليسا) إلى ذراعي ، ولثمت خذها تشبيه بتمرتي خشخ .
ناضجتين ..

هتفت (هيلين) وهي ترقب ما يحدث :

- بمن أنت ؟ ..

- بالتأكيد .. أنا ذاهب لقتل (المينوتور) ومعى رجال

أشداء ..

- أي رجال أشداء ؟

- أنا .. و (ستافروس) و (باتي) و (ميكوس)

العجوز ..

- يا لهم من أبطال ! .. أنت هزيل كسحبية ..

و (ستافروس) متراخ كبقرة .. و (باتي) يدين كخنزير ..

و (ميكوس) .. هه .. ماذا أقول عنه ؟ .. سلحفاة !

قلت وأنا أضع التفتحة على الفراش :

- (هيلين) .. لا تعدي الأمور .. أرجوك ..

- أنا أحبك يا (ديمتريوس) .. ولو فقدتكم .. أخشى

أن أكرهكم يوماً لهذا ..

أخيراً أسمع هذا الاعتراف لرقيق الذي منعها الكبرياء

من الإلقاء به طينة عامين أو أكثر .. ولتن كان

(المينوتور) سينهي حياتي . فباته على الأقل قد أعلاها

لي أولاً ..

قربت وجهها من وجهي .. وكلمت دمعتان على

مغتيها ..

وهذا في الباب في كياسة ..

ذهبت لأختي . فوجدت (باسيلوس) واقفاً في الردهة
مكتئباً نظراتي .. وفي فتور قال نون تعبير على وجهه :
- أنا أت معكم يا بروضور ..

★ ★ ★

قلت له في مودة وأنا أربت على ظهره :

- لا بأس يا بني .. كنت أعرف ..

قل بنفس اللهجة الصارمة :

- نم أريد أن نزل التيه ، نأجد نوحه صاحب الخان

معنى في الظلام .. إن رأسه مشرق بالشكوك ولا أرى

ما قد يقعه إذا ما انفرد بي ..

ثم - بنفس التعبير - غمغم :

- أعتقد أن بنته كانت ذاهبة لتتحرر .. نكن (تعبوتور)

مبقتها ..

- إن أت تهرب لباها لا نوحس ..

- بالتأكيد ..

- حسن .. أسرع بإعداد حقيبة .. حقيبة ظهر صغيرة

الحجم ، ولخذ بندقيّة من (ستافروس) لأننا ستتحرك

حذراً ..

- ليكن -

واللمرة الأخيرة اعترضت كف زوجتي في يدي .

واستدرت حاملاً للحقيبة على ظهري .. واتجهت إلى

الباب ..

وبدأت لطمخة ، وبألها من شره مشير للشفقة ..

★ ★ ★

الآن تنزل الحفرة حاملين كل ما أخبرتك به ..

سعل (ميكوس) العجوز .. واصطككك استبان

(ستافروس) .. ونهات (بنس) البدين .. ورجفة مساهي

أنا ..

كل هذا يقول لي إن حملتنا لن تكون موفقة إلى هذا

الحذ ..

ووصلنا إلى القاع .. فأمرت الرجل الذي يقف برفقتنا

أن يرفع العبل ، ويوصل الفتحة جيداً ..

تساعن (ستافروس) في هلع :

- ولماذا يا بروضور ؟

- لا أريد لهذا الشيء أن يغادر التيه بينما نحن نبحث

عنه بالداهل ..

- قد نخفق ..

- لا لظن .. إن (الميولوتور) وحش - لكنه يحتاج
لهواء مثلنا .. واطن هذا لثيقه يحوى كمية هائلة من
الهواء ..

ورأينا الفئحة توصل فوقنا ..

وشعرنا بأن التراب لذى يهيله الرجل ، إنما هو
ينهدل فوق قبورنا ويخلق أرواحنا .. للضلام يغمر كل
شيء ..

وأضاء (باسيلوس) كشافه الكهربي المتصل ببطارية
سيارة ، ليعطيه حياة أفضل .. وراح يمسح الجدران بها ..
وعند أقدامنا كانت العظام مكتومة .. عظام ضحايا
(الميولوتور) من شباب (أينا) .. أو عظام حمقى مثلنا
قتلوا أنهم على قتله قاترون ..

انحنى (ستافروس) ليلتقط عظمة مساعد من على
الأرض .. وقال :

- هذه العظمة جديدة ..

- ماذا تعنى ؟ - قلت فى سأم - إنها من عظام لـ ..

القناة ..

لشار إلى موضع لم يتم الالتصاق فيه من العظمة ..
وضمغ :

- إنها عظمة ذكر تم يبلغ لتسعة عشرة بعد .. أو
أثنى تم يبلغ لتسعة عشرة بعد .. ها هو ذا موضع
الالتصاق ثم يتكسب بعد .. إنها عظمة واحد من المراهقين
الذين مكروا بـ (نيقوس) أمس ..!

- هذا ليس بهيجان على الإطلاق ..

ثم نظرت إلى الرجل الأربعة الذين لأسبهم ضوء
الكشاف ، سمعنا شيطاناً .. أنت تعرف تأثير هذا الضوء
القادم من أسفل .. وقلت فى كياسة :

- من سيكون قاتلنا ؟ لابد لنا من قاتل ..

- هن هذا سؤال ؟ أنت طبعاً ..

- إذن لطلابكم بطاعة عمياء .. ليس الوقت وقت
إظهار رجاحة عقلكم ، ولا إثبات غيبى .. ما أقول
سينفذ !

- لك هذا ...

ناولت كلاً منهم كشافاً ، وبندقية ، وقطعة طيشور ..
سيقوم كل منهم باستكشاف مجموعة ممرات .. ويده على
زناد البندقية بينما الكشاف تحت إبطه ..

وكلما استكشف أحدهم ممرأ رسم أسهماً تكلمه على
الاتجاه لصائب .. لا يزيد أن يموت أحد لمجرد أنه ضل

طريقه .. وعنى من يجد شيئاً مريئاً . أو يوشك كشافه
على الانطفاء . أو تتلق قطعة العيشور منه .. أن يعود
أرجاه إلى هذه النقطة مسترشداً بأسهمه ..
تساعز (باسيليوس) ولجماً :

- وكيف تخرج من البئر بعد انتهاء كل هذا ؟

- إن معى مسامير ومطرفة .. يمكننا تسليق الجدار
كما تسليق جبلاً .. ونفتح الغطاء دون جهد ..
ثم أشرت لهم :

- (يبنى) .. ستأخذ التلق الأيمن .. وأنا الأيسر ..

(ستافروس) يأخذ امتداد التلق إلى الخلف .. ومعه
يعضى (باسيليوس) و (ميكوس) على أن يتفصلا إذا
وجدنا طرفاً .. ولسوف نتلقى هاهنا بعد ست ساعات
سواء وجدنا الوحش أو لم نجده ..

في ضيق غمغم (باسيليوس) :

- لا أحب هذا .. إن اتحاننا لقوة .. أما الآن فسيفتك
الوحش بكل منا متصلاً ..

بحزم صرخت في وجهه :

- أما الآن - وقد قبلت قبائلى - فقد أغلق باب

العناقشة .. نفذ ..

وفي تردد بدأ لرجال مسيرتهم المتوجسة ..

لم يكن ضرارى عن ديكتاتورية .. بل أردت أولاً أن
أوفر الوقت اللازم لاستكشاف هذا التيه .. ثانياً : أردت
أن أقل عدد الموتى لأن الوحش سينقض فجأة .. وفي
الغالب إن نستوعب وجوده قبل أن يفك بثلاثة منا ..
ومشياً مجتمعين يجعل الأمر بالتمسكة له أقرب إلى قدم
تهوى فوق سراب نمل .. لما تفرقنا فيجعه يفتك بولهد ..
ثم يبحث عن الآخرين الذين قد يكونون سمعوا صراخنا
أو جلبة تجعلهم أكثر تيقظاً ..

* * *

متحوقة من : (رفعت اسماعيل) :

إنه الفجر .. وأنا لم أقم بعد ، إذ استقرت في ترجمة
هذه الرسالة بخطها للمجهرى للعين .. لذا أترككم الآن
لأنام .. وسأعود لاستكمل القصة في الغد ..
فيلى لقاء ..

* * *

١ - مواجهة في (اللابيرنت) ..

صباح الخير ..

{ رفعت إسماعيل } قد صحا من النوم ، وأعد لنفسه
بعض البيض المسلوق وكوب شاي .. وجلس ينتهم كل
هذا ..

إنها الواحدة ظهراً .. أعرف هذا .. لأنني سهرت
كثيراً - كعاشق - ليلة أمس مع الأخ (كوبرتوس)
وقيوه ..

على كل حال .. في سن المعاش لا يعود النوم حتى
لظهور جريمة يعاقب عليها القانون .. أو تؤدي لي رفقة
وجوع أطفالك وطفلك ..

دعونا الآن نستكمل هذه الأحداث ..

أين كنت ؟ ما هي آخر عبارة ترجمتها ؟ (هذه العظمة
جديدة) ؟

لا .. لا .. { تجعلهم أكثر ثِقَلًا .. } .. هذه هي ..
إنني لتواصل المرء ..

* * *

رسمت سهماً بالقطبشور على الجدار .. ثم بدأت
أمشي عبر العمر الأسمر .. بقعة من الضوء تدنس
حرمة ظلمتك دامت قروناً ..
من جديد أشعر بأن الجدران تعاديني ، وأنها تحاول
فهم من أكون ..

بينما وقع خطواتي على الأرض غير المرجبة يصلحني
كم أنا وحيد ..
وكم أنا في خطر ..

أرسم سهماً آخر .. ثم أخذ الحذاء يمشي ..

لم أحاول يوماً أن أنقل شعور الخرزة البيضاء في
العتاة التي ينهر بها الأطفال .. إن الأمر يبدو سهلاً
حين تراه من أعلى .. عندئذ تعلم مدى وضوح الأمر .
ومدى تحبب الخرزة وأزائها الخاطلة على النوم ..

ما أمس حاجتي إلى أن أعلو .. أعلو لأرى هذه العتاة
من المنظور الذي يسميه المهندسون (عين الطائر) ..
لو ارتفعت أكثر لرأيت العتاة أوضح .. ولو ارتفعت
أكثر لرأيت لكرة الأرضية أوضح ..

كلن أعلو يرتبط بالحكمة .. ويرتبط بوضوح الرؤية ..
لهذا لن يدهشني لو أن الملاكمة تعرف عنا كل شيء ..

ويندو نها - نحن البشر - كائنات متخبطة تحبو هنى
 فى متاهة .. عاجزة عن رؤية الطريق العديد ..
 تبتأ لشروء هنى .. ليس الوقت مناسباً بحال ..
 علامة أخرى بالطيشور ...
 لاهد أنسى قد توغلت كثيراً لأنسى أمشى منذ ربع
 ساعة ..

* * *

هل مشت قدما (ثيديوس) فوق هذه الأحجار يوماً ؟
 لا لارى .. لكن هذه الأحجار لامست بالتأكيد قدمى
 مدت من فتجان وفتيات (آينا) .. أقدام بضة خالفة ..
 وأقدام عضلية متوجسة دامت هنا قبلى ..
 وكثهم رأى (المينوتور) فى اللحظات الأخيرة ..
 أنا أختلف عنهم جميعاً إذ أهدم قطعة (طيشور)
 وكشافاً وبتدقبة ..

* * *

ولكن هل يمكن نوحش أن يعيش ثلاثين قرناً ؟
 علامة لقرى بالطيشور ..

لم لا ؟- إننا لم نر وحوشاً كثيرة تجمع ما بين الثور
 والإنسان .. ولا يوجد ما يمنع من اجتماع غريبة المظهر

مع غربة دورة الحياة .. ولا متع من أن تصعب التشرح
 لغريب وظئف أعضاه أعرب .. فبتنا كالت بعض لسلحف
 تعيش قرناً .. وبعض الثباب يعيش يوماً .. فأى شيء
 نعرفه ؟ وما هى القاعدة ؟

إننا نجهل كل شيء عن أى شيء

* * *

ولكن .. ماذا يفعل الآخرون الآن ؟

* * *

لرى .. أرى بعين الخيال (باسيلوس) يتلفد مرته ..
 وقد فرد قامته ليوحى لنفسه بالتقبة .. ولسان حله يقول :
 (هذا المينوتور لا يلقى بس) ..
 وأراه يشعل نفاثة تبغ .. ثم ينظر لساعته ..
 فيما بعد عرفت أن (باتى) صاحب لخان أجمار عدة
 معرات .. راسماً علامة الطيشور إياها ..

وفجأة وجد نفسه فى ممر .. يلق فى منتصفه شخص
 منحن يشعل لفاشة تبغ .. وعرف أنه (باسيلوس) ..
 نك تلاقى للممرات !

وتكصت قبضته على البندقة ...

تذكر (ايزبيا) .. رأها تسير فى جناح الظلام دامعة
 العينين مسيرة القوادى . بعد ما تسلى أحد الأوغاد بقلبيها ..

تلقب الذي لم يمنح لأحد من قبل .. أخذه (بسيلوس)
ثم ألقاه كما ينقى بعد الثقب الآن ..
وهناك سرت .. وكان (لمينوتور) ينتظرها ...
وفي عتوة رفع قوامة الهندقية وصوبها نحو مؤخرة
رأس الشيطان الغانم من (أثينا) .. لا شهود هناك ..
وتنن هناك كلاهما فلن يعرف أحد بما حدث .. ولنن
عش (يثى) فقد لضى لثيه أو لمينوتور على (الآلهى)
لوسيم ..

ضغطة واحدة من أجل (إيزيبا) .. واحدة فقط ..

* * *

(ستافروس) كان يدندن نوحاً حزينا ..
ولقد تساءل مراراً عن جدوى كل هذا .. عن جدوى
الحياة أصلاً .. لقد ماتت (إيزيبا) ولن يجديها الانتقام
من المينوتور الأصلي الذي أقرسها .. ولا من لمينوتور
الآدمى الذي حطم أضراسها ..

ربما واحد فقط يستحق الموت هو (ستافروس) ..
الذى لم يستطيع أن يدافع عن حبه ..
علامة طيشور أخرى ...

* * *

ارتجفت يد (يثى) على الزنك ..
وسمع (بسيلوس) يقول نون أن يدبر له ظهره :
- هيا .. لم لا تفعل ؟؟
فى عتوة أنزل (يثى) قوامة الهندقية .. وغمغم :
- لا أستطيع !

- ولم لا ؟

- لا أفرى .. وددت لو كنت ألف مرة .. لكنى
لا أستطيع ..

استدار (بسيلوس) فى بطء ، وانفاقة اتبع تنكلى
من شفثيه .. وغمغم وهو يضع بندقيته أرضاً :

- أنت لم تقتل رجلاً من ظهره من قبل ..
- ثم كفتن أو رجل .. لا من ظهره ولا من وجهه ..
- انتى ...

وقبل أن يكمل عبارته : أهمن الرجلان أن السقف
يلتهز فوقهما ..

أما (يثى) فتذكر على الفور مغامرة (ليقوس) ..
وتذكر أن (المينوتور) يمشى على السقف والجدران
كسحلية ..



وقبل أن يفهم ما يحدث .. رأى عملاقاً هائلاً مغضى
بالشعر يقف أمامهما ..

بأن كان الشراء فوق رأسيهما طيلة الوقت ...!
وقبل أن يفهم ما يحدث .. رأى عملاقاً هائلاً مغضى
بالشعر يقف أمامهما .. ارتفاعه أربعة أمتار .. ورأسه
رأس ثور غليظ .. وذراعاه تكادان تنفجران من
العضلات المتراخمة ..

قل (باسيلوس) شيئاً ما قبل أن يقب رأسه بين
فكي الثور تعسقى ..

ورأى (باتي) - غير مصدق - الوحش يطوح جسده
(باسيلوس) المعلق بين فكيه . يمينا ويساراً .. ويمينا
ويساراً .. حتى ألهس (باتي) أن فطرت عنقه هو
نفسه تكاد تنفصل ..

وأطبقت العضلات الهائلة على الجسد . لكن يكف عن
التقاضة الاحتضار الأخيرة ..

ولم ينتظر (باتي) حتى يعرف نهاية المشهد .. إذ
حمل تكشاف في يده وراح يركض عبر معمرات . وقلبه
يكاد يشب إلى فمه ..

القرار ..!.. القرار ..! كرشه العملاق يسترجع ..
بندقيته هوت أرضاً .. يركض عبر معمرات لم يضع
علامة لظهور عليها ..

وكان في هذا قرار إعلانه .. حتى لو فر من
الوحش ..

* * *

بعد ربع ساعة وجد (ستافروس) جثة (ميكوس)
العجوز .. لقد شتمها الوحش بضربها في الجدار مراراً ..
وكانت هناك طلفتان ثقيلاً لجدار .. وينقية مهشمة ..
وكشاف ديس يقفمين لا تعرفان الشغل ..
وعلى الأرض كانت هناك قطرات دم .. دم أسود تتجه
إلى نهاية العمر ..

إن أطلق العجوز بندقيته ، وجرح الوحش ..
تأكد (ستافروس) من هشو سلاحه .. وأخذ شهباً
عريقاً ثم راح يمشى بحذر مقتلياً قطرات الدم ..
كان هناك ممر جاتبي في نهاية هذا العمر ..
وتصطب جسده إذ أدرك أنه يسمع صوت خطوات ..!
تراه أحدهم ؟ .. لا .. إنه لا يرى ضوءاً .. فما للشيء
الذي يقدر على السير في هذا الظلام الثقيل ؟
صوت لخطوات يذنو أكثر فأكثر من العمر الجاتبي ..
ركع على ركبته وأحكم التصويب .. يعلم أنه وحده
كيف سيبدو الشيء .. لكنه ميصوب على العينين لو
كانت له عينان ..

يعلم أنه وحده أي كابوس سينملاً هذا تفراغ بعد
توان ..

إصبعه يتقلص على الزناد ..
الخطوات تكنو أكثر ... و ...
في اللحظة التالية وجدت أملي (ستافروس) يصبوب
البندقية نحوي .. وكنت أنا مستعداً لضغط الزناد ..
وتنفس كلانا الصعداء ..
- حسبك هو !
- وأنا كذلك ! ..
- لماذا تمسح في الظلام ؟
- لتقطع سلك من سلوك الكشاف ، ولم أستطع ربطه ..
- إن من حسن حظك أنني هنا .. منسير معاً من
الآن فصاعداً ..
ثم إنه أشار إلى الأرض حيث قطرات الدم .. وقال :
- عليك (ميكوس) .. ولكنه جرح الوحش .. وإن
لتره لو واضح ..
- إن هيا بنا ...
لم أطلق على موت العجوز ..
فما دنا لساناً في نزهة ، فالوقوف لا يحتمل ترف
الرتاء لأحد ..

أبما بعد يمكننا أن نلقى الزهور والخطب على قبور
 قتلنا .. إنها حرب .. وفي الحرب لا تعرف ما إذا كنت
 حياً أم ميتاً إلا حين يبدأ رجل الخدمات الضبية في حصر
 الجثث .. أما الآن فما زال الأمل قائماً في أن يربينا
 لناس هذا ..

مضينا لتلقى آثار الدم ، غور ناسين وضع علامات
 الطيشور هنا وهناك ..
 وأخيراً كان هناك معر جاتين سمعنا صوت الخوار
 قدامنا منه .. نحن لا نطارد (الميتوتور) .. هو الذي
 يطاردنا ..

والآن عليك يا (ستافروس) أن تنتهياً لإطلاق
 الرصاص .. وأنا معك في اللحظة ذاتها ..
 سنطلق الرصاص على القلب .. وأنا على العينين ..
 بعد هذا نطلق الرصاص على البطن .. وأنا على العنق ..
 وبعد هذا ..

لا داعي لتزيد من التخطيط .. ولترتج وفت التزوم ..
 لرجوك رسم بعض الرعب أو التوتر على وجهك ..
 سمعتُ هذا التعبير السكسوني المسترخي المنفصل عن
 العالم ..

خطوات تقرب .. تقرب .. واكتشاف مسط على
 تمر ..

في ثنائية التناحية شعرت بشيء مريب برفضي في
 لهواء .. ووجدت نفسي أظير لأرتطم بالجدار ..
 لقد جاء من الخلف .. كيف ؟

إنه الصدى التعين جعل صوت خطواته يبدو كأنما من
 أمامنا .. أضف تلك أن تركيزنا وكشافتنا لكنا مسططين
 على الاتجاه الخفا ..

إن هذا لوغ لا يفضل طريقه أبداً ..
 وفي هلع رأيت وجه الثور المرعب لتخلي من
 التعبير .. ثور له ألياف حادة كالخناجر .. والجسد للعقار
 المكسو بالشعر يقف على قدمين مخليتين قويتين ويزر ..
 وكان قدامنا نحوي ..

ويطرف عيني رأيت (ستافروس) يهرع على ركبتيه
 ليأخذ من حقيته شيئاً ما ..

لماذا لا نطلق الرصاص يا أحمق !.. لماذا لا ... ؟
 وفجأة رأيت بصرخ في الوحش .. ثم يهرع ليملك
 فوقه سائلاً ما في (جرين) بلاستيكي كبير .. قذافه في
 وجهه ، فالصراخ الوحش زهيراً أو خولوا - لا أرى حقاً -
 واستدار له ...

- بروفسور! .. عليه ثقلك! .. بنزين!

فهمت على الفور مرماه ..

لم أكن أعرف أنه يحمل بنزيناً معه .. وعنى للفور
مددت يدي لأخرج عليه الثقب .. وحشرت عوين فيها
ثم حشرت الثالث بينهما وأسعنت الرابع .. تلك الطريقة
التي كنا نلعب بها في طفولتنا ، ويشد تكبار آذاننا لنعنا
من اللهب بها .. أسلوب ثلاثة السهام المستعنة التي
تحدث الكوارث ..

لشعنت العود لثالث المحشور ، وصوبته نحو ظهر
(المينوتور) .. فانطلق كالغنيمة ليضرب شهرة .. و ..
فهام!

اشتعل البنزين في ريع ثانية ..

ورأيت الشيء يتنوى .. ويصدر هديرًا مريعًا ..

وبعد نصف دورة رأيت تقيين في جدار صخره من

رصاصتي (ميكوس) ..

نحطت من الرعب .. ثم هوى أرضاً .. وتنوى قليلاً ..

وهدمت حركته ..

تهضت من سخطي ، وحملت حقيبتي وبنديتي .. وهرعت

أحق - (ستافروس) .. ورتحة الحريق تزكم لعيننا ..

ورحنا تركض عبر الأفاق مذعورين بقتنا الهلع ..

لثقتنا - برغم هذا - نضربنا بالذات ..

أخيراً توقفنا جوار أحد الجدران التي رسمت عليها

أسهم طبشورية ربحا بيدي أو يهدد أو بيد أهدنا ..

ورحنا للهت ..

ونظرت إلى (ستافروس) وابتمت ..

وكذا ابتم هو ..

* * *

أنتيكليرماكس ..

ملاحظة من د . (رفعت إسماعيل) :

يمكن ترجمة (أنتيكليرماكس) بالقيمة المضادة أو عكس ذروة . وهي تعبير يصعب به كتاب الدراما أن تصل الأحداث إلى ذروتها . وهي ذروة صالحة لانتهاء القصة تماماً . وفجأة تأتي ذروة أخرى قد تضعف السباق غالباً ..

على كل حال .. المشكلة مشكلة الأبخ (كوبراتوس) لا مشكلتي ..

وما هوذا ينتقل إلى ما يسمى لك (أنتيكليرماكس) .. عندما ...

* * *

وشرعاً نجد لتسير عبر الأفق ماثنين مع أسهمنا ..
ورحنا نتكلم للمرة الأولى بعد ربع ساعة من صمت :
- كانت فكرة جيدة أن تحضر البنزين معك ..
- وفكرة أجود أن تغلف القلب بأسلوب تمفلاق هذا ..

- كان لابد من وسيلة لإشغال البنزين دون أن الحروب ..
والصوت قطعة فحم أما الآخر ..

- لا بأس .. اليوم فقط أعتقد أن (نيدوبوس) لم يقتل
(لمينوتور) .. لقد اضطر أهل (كريت) إلى دفن التيه
بأكمله ليتمكنوا من الحياة ..

- .. وظل الوحش في حالة سبات طيلة هذه الأعوام
حتى ليقتناه نحن ..

وهذا توقفت .. إذ سمعت صوت خطوات تقترب ..

ونظرت نظرة ذات معنى إلى (ستافروس) ..

فرايت وجهه الغامض يبتسم ..

ورأيت هالة من نور تندو منا عبر منحنى القنق ..

ثم ظهر وجه (ياقى) الدهني لتحييم . وعيناه توشكان

أن تخرجا من محجريهما ..

فما إن رأنا حتى صاح في ضحك :

- همدا لله !.. أتتما حيان ؟

- وظلفران .. ولكن أين (باسينوس) ؟

- هناك .. فنزع لرحش عنقه .. وأين (ميكوس) ؟

- تهشم ألف قطعة .. لكنه - تلحق - مات كبطل

إغريقي ..

والترشينا الأرض : ورحلنا نتحدث .. ونتبادل مسرد
ماحدث بالتفصيل .. ولقد هنا (يائى) على قتل
(المينوتور) .. لأنه ...

- لا أستحق أن وحشنا كهذا يمكن أن يموت ..
- وكذلك نحن ..

كان (ستافروس) جالساً يبحث فى حقيقته ، ويتأمل
الجدران .. ثم قال لى بطريقته الودية :

- هلا تناولتى التفاح يا بروفسور ؟

- هل ستدخن أول لفافة تبغ فى حياتك ؟

- بل سأتخلف لأنى !

ناولته التفاح .. وتركته يتأمل ، وعدت أقول
لـ (يائى) :

- أراهن على أن مصرع (باسينوس) كان رد اعتراف
كـ ..

قال وهو يمسح عينيه فى ثعب :

- حقاً .. لكنى - صدقتى - لم أحب ما رأيتك .. لقد

أستحق الفتى أن يموت على كل حال .. ولا أقدار هناك

من ندم على فقدده .. لقد قتل الوحش من سبب فى

موت ابنتى .. وقتل (ستافروس) قتل ابنتى نفسه ..

أرى فى هذا عدلاً صارماً مجيداً ..

- اتنى أرى ...

فى اللحظة التالية وثب (المينوتور) علينا من ركن

اتفق .. !

كان يخور كبركان .. وقد فرود ذراعيه إلى جاتبيه ..

والزبد يسيل نهراً من شدقيه .. وقد احترق أكثر جسده

وشبهه .. وطلعت راحة تنعم المحترق منه ..

وهنا صرخ (ستافروس) وهو يلقي شيئاً ما جوار

الوحش :

- بروفسور .. (يائى) ... ابتعدا .. !

- ونحن ...

- بحق لسماء أسرعاً !

وعندئذ رأيت مارماد جوار قدمى المينوتور .. كان

هذا أصيغاً من الديناميت المشعل ..

لقد كان هذا هو ما يبحث عنه فى حقيقته .. ولأجله

طلب التفاح ؟

لقد كان يسمع خطى الوحش طليئة الوقت لكنه لم

يخبرنا ..

وهو ذا بثب فوق ظهر الوحش متشبهاً بخصره ..

متشبهاً بخصر هذا البركان الثائر - محاولاً أن يرضع
على البقاء جوار الإصبع المشتعن ..
وجريشاً نأ و (يئى) .. فلم يعد يوسعنا عمل شيء ..
جريشاً كما لم نجر فى حيلتنا ..
ونوى صوت الانفجار ..
واهتر لتيه مراراً .. لكنه لم ينهر كما توقعت ..
لنظان يلعم المكان ..
وتحن للهت طلباً للهواء .. لكننا نجونا ..

* * *

وقال (يئى) وهو يثبث التوتد الأول فى الجدار :
- لقد كان بطلاً حقاً .. للمرة الأولى أتعلم أن الرجل
ليسوا بمظهرهم .. لك كان - رحمه الله - أقرب إلى قساة
مرهلة ..

مسحت دموعه سالت على خذى .. وهمت :
- كان بطلاً إغريقياً .. سار فى تصميم إلى مصيره
لمحتوم .. ولو كان لدينا (هوميروس) أحر لخلده فى
قصيدة أبدية .. إن (ستافروس) هو قاتل (المينوتور)
لحقيقى وليس (ثيزيوس) ...

* * *

وحين خرجنا من فتحة لتيه ..
كان الحجر يتمطر فى كسل بعد ثلاثة طويلة ..
طويلة ..
ولم يكن أحد هناك ..

بإختصاص / د . كوبراتوس

* * *

خاتمة

انتهى خطاب بروفيسور (كوبزالوس) .. وانتهى
(اليميناتور) ..

للأسف لم يحفظ لنا الاتلجر عظمه ، وأنا لا لئوم
(ستافروس) كثيراً ، لكنني كنت أفضل لو اختار طريقة
أقل جذرية للخلاص من هذا الكابوس الإغريقي ..
لكنها ملحمة حقيقية ..

وإنني لأجد الكثير من ملامح أبطال (الإلياذة) في
هذين الشابين (باسيلوس) و (ستافروس) ..
واضح أن الأول كان يشعر بندم ، وقه أراء الموت ..
لكن كبرياءه السقيم منعه من الاعتراف بذلك ..
على كل حال .. مسائل كثيرة هناك .. ينتظر ..
ويمكنك أن تزوره لو خطفت رجلك لتري (كريت) ..

★ ★ ★

أشعر بمتعة حقيقية حين أقرأ هذه الخطبات آمنًا في
فرانسي .. غير مضطر إلى مصارعة وحش إغريقي في
قبو مظلم ..

وبالطبع لن تكون مضطراً إلى مواجهة رعب
المستنقعات ..

إن الخطاب التالي يتحدث عن مستنقعات تتصاعد
منها غازات (الميثان) . وتزخرها الطواييط الرقيقة
فوق مياهها ..

ومن يعبر مستنقعا يكون عليه أن يدفع ضريبة
لمرور بالدم ..

ولكن .. لماذا أهد قصتي ؟
إن هذه لقصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل
للقاهرة

★ ★ ★

[تمت بحمد لله]

www.liilas.com/vb3

^ RAYAHEEN ^

مع تحيات منتدى ليلاس